

ابو طالب زيان

فؤاد الشايب الاستاذ والرائد

بقلم ابو طالب زيـان

***

سرى الاعتقاد ، وتناقل الادباء في ارجاء العالم العربي ، ان الاستاذ فؤاد الشايب ، اول من وطد ، بانتاجه ودراساته ، المفهوم الفني الحديث للقصة في سورية ، وكان من روادها الاولين ، وتناسوا انتاجه الضخم ، ومفاهيمه للادب ، وتذوقه للفن ، ومبضعه الشافي في الصحافة .

ولقد يكون هذا مبالغة ، او يجنح الى الاسراف ، لكن اذا عرفنا ان الاستاذ الشايب ، بدأ انتاجه في جريدة « الامام » عام ١٩٣٥ ، ثم مجلة « المصباح » و «الحديث» و « الايام » و « مجموعة تاريخ جرج » التي نشرت عام ١٩٤٤ ، غير هاتيك القصص التي احتلت مكانتها هنا وهناك بين ارجاء العالم العربي ... اقول لو احصينا هذا الانتاج الضخم ، لما حددنا معالم الرجل ، ولما وقفنا به عند نقطة معينة من الانتاج ، ولا حللناه هذا المحل الذي اختاره لنفسه اليوم ، وهو التوجيه الادبي والصحفي في مجلة « المعرفة » التي تصدر في سورية الشقيقة .

ولد الاستاذ فؤاد الشايب ، في قرية معلولا من جبال القلمون ، وعاش مطلع حياته الحافلة ، يسمع قصص المغامرات ، ويجنح به الخيال ، الى السير في هذا الضرب من الادب ، ويمني النفس بالوصول الى حيث يتربع على عرش الادب ، ويشار اليه ، على انه من البناة ، الذين يحتذى بهم ، او يحج اليهم .

درس فؤاد الشايب في القرية ، واتم تعليمه فيحقوق دمشق ، ثم ذهب الى باريس ، حيث انتظم في جامعتها ، الى ان اجاد اللغتين : الفرنسية والانجليزية نطقا وكتابة ، غير دراسته للآداب العالية ، والمامه الواسع بالقوانين .

ولقد تاقت نفسه ، بعد عودته الى بلاده ، الى العمل بالصحافة ، باعتبارها المنبر الذي يستطيع بواسطته ، ان يوجه ، ويبث تعاليمه ، ويقول ما يشاء في حدود الادب والمعقول، في دنيا السياسة والرشاد . لكن سرعان ما اخذته هذه النوبة التي تستولي على كثير من الناس ، فنراه يهجر الصحافة وينتظم في سلك الوظائف ، ويصمت عن الكتابة اربعة عشر عاما ، هي في عمر الادب خسارة ، وفي حياة اديبنا الكبير ، سعة من الوقت للاستعداد ، والتأني والتمهل والركود الذي يسبق العاصفة .

لعل السبب الذي من اجله ، لاذ الاستاذ فؤاد الشايب بالصمت ، طيلة اربعة عشر عاما ، هو المفاهيم التي درجت على ارض العربي ، تحد من ثورة الادب ، وتعصف برسالته، وتجب المواصفات الحقيقية التي يجب ان تسبق الانتاج ، أيا كان لونه ، وارتكازه ، ونقطة انطلاقه ، وعدم المساس بمحتوياته او مضامينه ، او الحد من تحليقاته . فالاديب الاصيل عند فؤاد الشايب ، هو من يؤدي رسالته اداء تلقائيا ، لا التزام فيه او حصرا ، يدور حوله ، او يرتطم باسوار فروضاته .

والذي يقرأ لفؤاد الشايب ، تعاليمه ، ويرجع البصر الى هذه الكلمات ، لا ينكر عليه قبوعه للبناء اربعة عشر عاما ، بل يتمنى ان لو زادت ، حتى تتم هذه الضميمة التي نطالعها كل يوم ، ونرى فيها من السحر والتوجيه والبلسم ما لا نراه في غيرها من التعاليم المبثوثة في ثنايا الكتب ، او القابعة في الابواق :

« اذا رايت نفسي مندفعا في شارع مقفر ، رحت اسأل نفسي : افعل ذلك في سبيل عملي الخاص ، أم في سبيل انشاء قصة .

واذا ما اكلت واصغيت الى صوت المضغ ، رحت مسائلا نفسي : انا آكل لاعيش ، ام لاعرف كيف يجب ان يأكل شخص قصتي ، ولقد تعصف بي عاصفة غضب ، فيخطر لي ان ارى وجهي بمرآة ، لاعرف كيف تستقر العواطف ويخيل الي احيانا ، ان الاشياء لا قيمة لها ، بقدر ما تصلح مقطعا من مقاطع قصة » .

« انني من جيل يريد ان يلتهم ويقرأ ، اكثر ما يلذ له ان يقرأ ويكتب . لا نفاخر نحن ابناء الدورة الاولى في ادب القصة السورية ، بانتاجنا الضخم وادبنا المتفوق ، فليس بين ايديكم منه ، سوى وليدة ارادة الاصدقاء والمشجعين» .

« لم يكن لي ثمة استاذ في القصة العربية ، احببت الف ليلة في سن المراهقة واول الشباب ، واحببت رسالة الغفران ، ثم قفزت لاقرأ توفيق الحكيم واحبه ولا اجد في

أدب القصة العربية شيئا يكاد ان يذكر ...

واجزم ان لا احد سوى توفيق الحكيم حصرا ، وقد يكون لي بين هؤلاء الغربيين استاذ : دوهامل ، فرانس ، ستاندال ، جيد ، موباسان ، غوركي ، دوستوفسكي ، موررياك والاسطورة الاغريقية ، واحب الآن سارتر ، ولم اتأثر بمدرسة أو مؤلف ، واخشى دائما وقوعي تحت السيطرة » .

« بدأت اكتب عندما كنت في سن مبكرة ، عندما كنت اكتب لنفسي ، لاصور هياج مراهقتي واحتدام حبي بلوحات صغيرة ، او رسائل حزينة الى حبيبة مجهولة» .

« خير القصص عندي ما كان لوحة وصورة ، وخير الروايات ما صعد من الواقع المحلي الى الصعيد الانساني» .

« القصة كما افهمها سيرة نفسي ، لا حكاية حوادث ، فهي قطعة من المحيط الذي اعيش فيه ، تعيش في نفسي وفي خيالي وفي اعماقي وتحيا » .

« ان احسن القصص عندي ، تلك التي لم يعمل فيها القلم مرة ثانية ، وما اضيفه بعد فراغي من القصة ، احس به ذيلا ثرثارا دون جدوى » .

والواقع ، أن الاستاذ فؤاد الشايب ، لا يعرف لميلاد القصة في نفسه عملية معينة . فالقصة عنده ، وهي في دور تمخضها : « صورة تنزل من منابع نفسي البعيدة المجهولة ، لتتكون في مضطرب الوعي ، انما هي ثمرة ناضجة تعبة على الغصن الذي يحملها ، فما تحتاج الا غمزة القلم لتهوى » .

على ان الاستاذ فؤاد الشايب ، لا يكلف نفسه عناء وضع الخطط والاشكال والبرامج ، ولا يرسم لشخص روايته سبيل حياته او تاريخ تطوراته : « ما فكرت اذن ابدا ، ان هذا الشخص ستكون نهايته على كيفية ما ، أسير وراءها ، والزم القصة بها . فالفن الروائي لا يتكىء على المنطق دائما ففي « ملاك الموت » و « الشرق شرق » وضعت للاولى منذ شرعت في تأليفها هذه الفكرة : ام يستولي على ضميرها ، ان ملاك الموت سيدخل دارها ويخرج حاملا شيئا ، فلا تزال تتعذب تحت هذا الكابوس حتى يموت وحيدها . ووضعت للثانية الخلاصة التالية : طالب سوري بعقلية شرقية ساذجة يعيش حياة حب شديد مع فتاة باريسية ، تمثل كل فنون الغرب ... ثم لا شيء سوى هذه الصورة لكي ابدأ ...

هذه هي الابعاد التي نظر اليها الاستاذ فؤاد الشايب ، وهو يعالج القصة ، ولا شيء افعل في نفس القارىء من هذه البساطة الحلوة ، التي يتنقل معها المطالع من حالة الى حالة اخرى ، او من عقدة الى عقد تجره الى النهاية المحتومة غير المتكلفة التي اتسم بها فؤاد الشايب في هذه المعالجة الفذة ..

والذي لا شك فيه ، ان الاحساس الذي يملك على المطالع لادب فؤاد الشايب فكره ، ويحصره في هذه النبضات التي تحمل الحياة في طياتها ، يتجلى اوضح ما يكون في الاعتراف الذي ادلى به هذا الكاتب ، من انه ليس له استاذ في هذا الفن يحتذيه ، او ينسج على منواله ، شأن الكبار من الرواد ، وانما الحب الذي ملك عليه حسه ، فجعله يطالع في سن المراهقة ، وأول الشباب ، « الف ليلة » ويحب « رسالة الغفران » ، ثم يتطور هذا الحب ، فيعيش مع توفيق الحكيم ، لا على انه تابع او تلميذ ، بل للمقارنة والبحث والمفاضلة ، والمقابلة ، والانتقال بين الفنون ، ايا كان لونها ، او موضوعيتها ، او اتجاهاتها المختلفة المتباينة.

والمفهوم الحقيقي للقصة عند فؤاد الشايب ، ليس بالانتاج الضخم ، الذي ظهر لذلك الجيل الذي يمثله ، وانما بالقراءة الملذة ، والالتهام الذي لا يعد له اي جهد في حياة اي جيل ، والكتابة لا للفخر وحسن الاحدوثة، وانما بالعمق الذي اتسم به ذلك الجيل الذي وطد نفسه على هذا البناء الشامخ في دولة الادب .

فالجيل الذي يكتب في سن مبكرة لنفسه ، ويحاول ارضاء النزعات ، أيا كان مكمنها ، او مصدرها ، او يصور حبه في لوحات ، او يبعث باشواقه الى المجهول ، لا شك في انه جيل ولود ، يجنى الخير منه ، ويرجى ان يخطط على علم ، ويرسم عن خبرة ، ويؤم ، وهو في مأمن من العثرات ، الاجيال التي تتلوه ، او تأتي بعده ، ولو بازمان سحيقة .

ان الاستاذ الشايب ، يفهم القصة ، لا على انها حوادث وقعت ، او خيالات يضل الناس في متاهاتها ، وانما هي قطعة من محيط يعيش فيه ، ويحياها في اعماقه ، او خيالاته هو ، أو في نفسه المسجلة الحافظة ...

ويتعدى فؤاد الشايب هذا المفهوم للقصة ، ويعمق هذا المعنى ، ويرسم هذا الاطار الذي يجب ان يتحلى به الكاتب ويجعل القصة نابعة من الواقع المحلي ، صاعدة الى الصعيد الانساني المحيط ، حتى تأخذ وضعها الحقيقي ، وطابعها الذي تكون عليه .

ومن الاعاجيب ، ان الاستاذ فؤاد الشايب ، يأخذ لقطاته ، ويضع عقده من الاشياء التي لا قيمت لها ، كما يأخذها من الاشياء الخطيرة التي تستوقف النظر ، وتأخذ بلب القارىء ، لا يصنع المنظر ، او يبتدع العقدة ، او يسير على غير هدى .

فالقصة في مذهب فؤاد الشايب ابداع ، لا يدانيه اي لون من الوآن الادب ، او يصل الى قمته اي فن من الفنون ، الا اذا برهن على انه جدير بالحياة ، قمين بالوجود والصمود .

ولفؤاد الشايب ، مذهبه الواقعي في فنونه المختلفة ، ومعالجاته الفذة التي اخذ نفسه بها . فالطابع الواقعي الذي اختاره الاستاذ فؤاد الشايب ، يغلب عليه معالجة الحقائق ، ايا كان لونها ، وان جنحت الى الخيال ، او ضربت في المتاهات او اتسمت بالاستغراب الذي يبرز

واقعيا في « سيرة الحب والمراهقة » او « الجوع والبؤس والطمع » او « اوراق موظف » او « سيرة نفس » .

وليس ادل على هذه الواقعية ، سوى المظهر الانساني الرائد ، الذي يتدسس في هذه الطبائع التي يكشف عنها هذا المبضع الجبار من السمو والجمال ، مشعا فيها بروحه ، باعثا لها في انغام شجية تملأ النفس ، وتهتز لها المفاهيم التي وضعت لحساب كل معالجة من هذه المعالجات ..

ولقد يعيش الاستاذ فؤاد الشايب في قصة بعينها ، ويتكىء بكليته على مفهوماتها ، غير انه يتكيف بالجو ، ويسير وراء النهاية ، ويلزم القصة بها وان كان يعلم التطور الذي يأخذ بخناقه ، ويمسك عليه قلمه ، ويقف به دون نهاية ، لا يتمناها القارىء ، او ينتظرها المعنيون بهذه الالوان من فنون القول ، ولكن الكاتب ، يؤمن الايمان الجازم بان الفن الروائي لا يتكىء على المنطق دائما ، وانما يخضع لتيارات اخرى ، ولمسات تحدد معالمه ، وتسد عليه المسالك من كل باب ، الا ان تكون هذه الخواتيم التي يختارها الكاتب ، فيخرج بها من حيز الالتزام الى دنيا يريدها ، ووقفة يقفها، دون تجاهل لاصول الفن ، او اهمال للبناء ، او الحبك القصصي السليم .

والالتزام عند فؤاد الشايب ، شيء معيب في الانتاج الادبي ، ولا سيما اذا حصر الاديب نفسه في جو تضيق به كل المسالك ، ويكون عرضة للوقوف دون ما حراك ، او التصرف حسبما يهوى ، او يحب ، او تقضي به الصنعة . فالاديب الحق ، هو من يؤدي رسالته اداء تلقائيا دون ما حدود او ابعاد يلتزمها في اداء هذه الرسالة ، او قيد يغل من نشاطه ، او يكسر من هذا البيان الذي يجب ان يتجاوب والحياة ، ويسير والركب دون ما تخلف أو استكانة ، او رضى بهذا الواقع الا ان يكون من مقتضيات اللمسة ، او حتمية الاتجاه .

وخير ما يصور هذا الاتجاه عند فؤاد الشايب ، انه لا يعنى بهذه الملامح الشخصية للابطال ، الا بمقدار ما تتضح به الصورة ، وتنضج الشخصية ، وتبين تلك الاتجاهات ، وان كان يضاف كذلك عدم الاهتمام بالمناظر الطبيعية الا بالقدر الذي يحمل من الايماء ، ويشيع في جو القصة .

وسبب ثالث ، يحسب له الاستاذ فؤاد الشايب الف حساب ، وهو يهم بمعالجة القصة ، أو يرسم خطوطها على شاشة عقله ، او يعيشها في اعصابه ، هو عنايته باللقطات الجانبية التي تكشف الفكرة او توضح معالمها ، وتركز بناياتها ، او توجهها هذه الوجهة التي تراد لها .

على أن الاستاذ فؤاد الشايب ، قد انتحى في السنوات الاخيرة ناحية هي اولى بقلمه ، واثمر في حياة اللغة والادب . فمنذ ان تولى رياسة تحرير مجلة «المعرفة» اخذ نفسه بكتابة هذا الملحق ، الذي يظهر آخر صفحات المجلة ، يضم التيارات المختلفة في الادب، ويعالج مشكلات السياسة، ويفند فيه الآراء التي تنشر هنا وهناك في انحاء العالم .

ومن غير شك ، اننا لو استعرضنا بعضا من هذه التعليقات لاكبرنا الرجل ، وهو كبير ، ولكرمنا بيانه ، وهو كريم ، ولوضعناه في موضعه الذي يستحقه وهو صدارة امراء البيان .

ففي جولة الشهر ، يسجل تيارات الفكر العالمي ، ويقلب وجوه الرأي في الدراسة والمناقشة ، ويرسم الطريق الحق ، امام الاحداث التي تكتنف العالم ، وتحيط به من جميع نواحيه ، فيستعرض حاضر افريقية ومستقبلها ، ويناقش سيرة نكروما واعماله وقيادته ، ويقف وقفة طويلة بين الاستعمار والديموقراطية ، ويشبع القارىء بتلك اللقطات الحية في المجتمعات القبلية ، والديموقراطية الغربية في المجتمعات المتخلفة وعدم تمثيلها ، والاشتراكية الافريقية نظريا وعمليا في فلسفة نكروما ، والاشتراكية في بعض تلك الدول ، ونظام الحزب الواحد والمعارضة ، وحكم الشورى في تلك البلاد .

ولقد علق الاستاذ فؤاد الشايب على مؤتمر الادباء العرب الخامس الذي عقد في بغداد ، بما يصح ان يطلق عليه : اللمسة الحية النابضة . فناقش افكار المؤتمرين وتوصياتهم فضلا عن تاريخ المؤتمر وادوار انعقاده، وتطورات التجمعات الادبية ، والهدف الذي عليه المؤتمر .

ولم يفت فؤاد الشايب ، ان يذكر المسئولين بما يجب عليهم نحو هذا المؤتمر ، مع مناقشة جادة لاراء المؤتمرين والمناوشات التي ظهرت في الجو الادبي لهذا التجمع الادبي الكبير الذي كان لا بد فيه من تقييم لاعماله ، او استعراض لبعض وقائعه الكثيرة التي اكتنفتها سيول من المشاحنات واعترتها اجواء من الادعاءات التي لا يصح ان تكون بين اولئك المؤتمرين الذين اجتمعوا وفي جعبة كل منهم فيض من السهام ، يصيب به من شاء دون ما ارعواء لذلكالجو ، او احترام للرسالة الكبرى التي من اجلها ذهب المؤتمرون الى بغداد ..!!

غير أن من الانصاف للاستاذ فؤاد الشايب ، انني أعتقد أن تعفف بقلمه عن ان يغمسه في وقائع ذلك المؤتمر الذي اقتصر على تلك الفئة التي ارادت لنفسها التمثيل والنيابة، شأنه في جميع تعليقاته واستعراضاته ، وجنوحه الى السلم وعدم المساس باي كينونة من الكينونات التي تتربص الفرص ، وتنتهب المنافع ، وتسبق الحوادث ...

انني لو استطعت تفنيد دور الاستاذ فؤاد الشايب في الادب والسياسة ، لما كفاني صفحات وصفحات ، ولكن حسبي وحسب الرجل ، أن اعماله وجهاده وثقافته وريادته ، هي النبراس المضيء ، امام كل الاجيال ، وهي التوجيه الرشيد ، امام من يريد الهداية ، ويمضي على جادة الطريق ..

القاهرة

ابو طالب زيان

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي
من « العروة الوثقى » في لندن

***

في كتاب « اما وأما » لكيركيغور او كتاب « الوجود والعدم » لسارتر بحث عن السبل المفتوحة امام الانسان للاختيار . فهو يختار امرا من امور ثلاثة: ١ ــ اليأس، ٢ ــ الحرية ٣ ــ نفسه هو . وجميع هذه الامور لا تتعلق بالخارج وانما تتعلق بالانسان في داخلته ، وهي لا تتعلق ايضا بشيء معين ، كأن يختار الانسان التفاح بدلا من المشمش مثلا ، او ان يختار شراء بيت بدلا من شراء دكان ، او ان يختار سيارة دون اخرى . وهي ايضا لا تتعلق بالاخلاق ، لانها ليس فيها ما هو حق او باطل او هو خير او شر . وهي كذلك منفصلة عن الحقيقة او غير الحقيقة من ناحية موضوعية علمية ، لان الحقيقة او عدمها أمر لا يكون خارجا من الانسان بل هو نابع من صميم الانسان ومن افكاره الخاصة ، كما بينا ذلك بالتفصيل من قبل .

واليأس الذي يختاره الانسان لا يكون يأسا بمعناه الوجودي الا اذا كان اليأس مقصوداً ومعزوما عليه . وليس اليأس هنا معناه التسليم او الاستسلام ، وانما هو شعور عميق بفراغ هذا العالم من كل شيء له معناه بالنسبة الى الانسان نفسه ، شبيه بشعور المقدم على الانتحار . وهو يأس من نوع خاص ، ينقلب الى فرج او الى امل في النهاية : فهو اقرب ما يكون في هذه الحالة الى معنى القول المأثور « اطلب الموت توهب لك الحياة » ، او الى ما جرى للانسان في هذا العالم بعد ان تحقق من ان حياته مقضي عليها بالموت . فهو لا ينفك مقبلا على الدنيا كأنه يعيش ابدا . فاليأس الوجودي اذا بلغ منتهاه انقلب الى امل . والمثال على ذلك ما ذكرناه سابقا عن الشخص الذي يجد نفسه وجها لوجه امام اسد ضار ، او الشخص الذي يجد نفسه في سفينة قد اشرفت على الغرق، او الشخص الذي يئس من رحمة ربه بعد ان اقترف من الجرائم والمنكرات الشيء الكثير . وقد عبر عن ذلك الشاعر العربي بقوله :

وكل الحادثات اذا تناهت   فموصول بها فرج قريب

او كقوله :

اشتدي ازمة تنفرجي ...

او قول الآخر :

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها   فرجت وكنت اظنها لا تفرج

فالشخص الذي يجد نفسه في موقف حرج جدا يدرك قيمة وجوده وحياته ادراكا واضحا شديدا ، وفي تلك الحالة يشعر شعوراً حادا بنفسه وبكينونته ، ويؤمن بحياته ، وهذا الايمان هو الذي يحول دون انقلاب اليأس الى يأس مطلق ، وهو الذي يزيد من تمسك الشخص بحياته ويخرجه من تلك الغمرة ، ويطبعه بطابع الوجودية. فالوجودي اذا استشعر اليأس بمثل ما يشعر به من يقع في موقف حرج او خطر جداً ، فانه انما يزيد من ادراكه لقيمة حياته ، ويشدد من حرصه عليها ، ولا يعود يهتم بشيء اخر سوى نفسه . هذه هي علامة الوجودي الصحيح . وفي حالة اليأس او حالة الحرج يعرف الانسان نفسه . والمهم في الامر كله ان يعرف الانسان نفسه معرفة صحيحة ، كما يقول كيركيغور ، وهي دعوة الرومانطيقيين الاوروبيين في القرن التاسع عشر . والوجودي في هذه الحالة انما يدعونا الى مواجهة الحقيقة المجردة حتى نتوصل عن طريق الموقف الحرج الى انقلاب نفساني يخلق منا اشخاصا وجوديين لا يؤمنون الا بانفسهم ولا يقيمون وزنا الا لحياتهم ، كلا بمفرده . وهذا شبيه بما كان الرواقيون عند الاغريق يدعون اليه .

والاختيار الثاني عند الوجوديين هو اختيار الحرية ، وهو اختيار لا مفر منه ، لان الوجودي لا يختار الحرية كما يختار سيارة دون اخرى او لباسا دون آخر او طعاما دون آخر ، وانما يختارها لانه ليس مخيرا في قبول الحرية او رفضها ، بل هو حر من اجل شيء واحد وهو قبول الحرية واختيارها ، وليس هو حراً في ان لا يكون حرا . ومعنى هذه الحرية التحرر من جميع القيود الاجتماعية والتاريخية والدينية والعلمية ايضا ، حتى لا يجد الانسان له ما يعتمد عليه او ما يسترشد به . وهنا يجد الانسان نفسه في موقف حرج جدا ويكون ، كما يقول الوجوديون على حافة الهاوية . في هذا الموقف يشعر الانسان بعذاب النفس او بشعور الكبد ، او الكمد. فهذا الشعور يختلف عن الخوف اختلاف اليأس الشديد او اليأس المطلق عن اليأس الخفيف او النسبي ، لان الخوف لا يكون الا من شيء معين يخاف منه او يخاف عليه ، كأن يخاف الانسان من اصطدام يقع له في سيارته في الطريق او يخاف على اسهمه في التجارة ان تخسر . ولكن الكمد شبيه بالقلق ، والقلق عادة لا يكون الا عن شيء مجهول يخشى من عواقبه، كالقلق الذي يستحوذ على الانسان اذا سافر له قريب عزيز ولم يسمع منه خبرا . فهو قلق، ولكن قلقه هذا ليس مبنيا على الواقع ، لان قريبه قد يكون قد وصل سالما، ومع ذلك فان الكمد ، في عرف الوجوديين ، يختلف ايضا عن القلق ، لان القلق لا يزال يدور حول شيء معين ، ولو ان هذا الشيء اقرب الى الخيال والوهم . اما الكمد فليس له غرض معين ، وانما غرضه هو عدم وجود الغرض المعين. فاذا نفينا عن شعور الكمد الاغراض المعينة المختلفة في الدنيا ، لم يبق الا شيء واحد وهو الغرض المطلق الذي نعني به الكينونة المطلقة . اي ان الانسان في حالة الكمد

ليس له غرض الا الاهتمام بالكينونة ، اي بكينونتــه دون غيرها . واذا تخلى الانسان عن الاغراض الدنيوية الاخرى وحصر اهتمامه بنفسه ، فانه بذلك يجد نقطة مركزية يدور حولها وهي شخصيته ، ويجد ايضا موطىء قدم له يستقر عليه في هذا الوجود المتزعزع من كل ناحية . فنحن فـي الحقيقة نلعب الدور الذي لعبه « نارسيس » في الخرافة الاغريقية القديمة ، ودور « هاملت » في احدى روايات شكسبير في وقت واحد . فان « نارسيس » هـذا كان مغرما بنفسه ، في حين ان « هاملت » كان فريسة للافكار والهموم . ولكن هذا الغرام بالنفس ينقلب فيما بعد الى شيء آخر ، كما انقلب اليأس المطبق الى الامل والفرج . فالانسان ، وهو واقف على حافة الهاوية ، يساوره الكمد ويستحوذ عليه الهول ويستهويه حب المخاطرة بالقاء نفسه في الهاوية ، يشعر عندئذ بفورة من الشجاعة والاستسلام، فيقذف بنفسه عبر هذه الحدود الى عالم جديد . فهـذا التحول من حال الى حال هو ما يطلق عليه الوجوديون بكلمة (الوثبة) ، وهو ينقل الانسان الى موضع جديد مجرد عن كل ما قد يهتم به الانسان ، ويعود الامر الى ما عاد اليه في حالة اختيار اليأس وهو ان الانسان يصبح وحيدا مع نفسه لا غير .

والاختيار الثالث هو اختيار الانسان نفسه . وهذا مفهوم ضمنا مما قلناه من قبل عن الاختيارين الآخرين . والغاية من الاختيار الثالث هي ان يجعل الانسان همـه منصرفا الى نفسه ، فيجعلها نقطة الاتصال في جميـــع الاحوال ، ومن هذه النقطة يكون تقرير الاعمال التي يقوم بها الانسان . وهذه الحالة هي التي يعبر عنها سارتر احيانا او الفرنسيون عموما بعبارة (الحرية المقيدة Liberté Engagée)

فمع ان الانسان ، في رأي الوجوديين محكوم عليه ان يكون حرا ولا يستطيع ان يكون غير حر ، الا انه مقيد بان تكون هذه الحرية على اساسات معينة من الاختيار ، والجامع بين هذه الاساسات ان تكون شخصية الانسان شخصيـة موحدة ويكون المسلك صادقا مخلصا للنفس وفيه تقـدير للمسئولية . واهم شيء في ذلك ان يكون الانسان متطابقا مع نفسه متوحدا معها ، تلك النفس التي صنعها هـو وكيفها باختياراته الحرة المسئولة . هذا التطابق هو الذي يسميه الوجوديون بالاصالة . وكلما كان هذا التطابق وثيقا كانت الاصالة شديدة . واذا كان لكل شخص اصالته فان الهوة تتسع بين الشخص والآخر ، ويصبح المجتمع عبارة عن افراد منقطع الواحد منها عن الاخر ، ويكون الفرد في هذا المجتمع في معزل عن الفرد الاخر . وهنا يعيش الانسان في وحدة كاملة لا يعرف عن غيره الا القليـل . وهذا ما شكا منه الرومانطيقيون في اوروبا في القرن التاسع عشر ، وما أشار اليه الفيلسوف « نيتشه » حينما قال أن الانسان يكون وحيدا في عليائه . والوحدة توجد الوحشة ، ويكون الوجوديون بذلك قد ساروا في حلقـة مفرغة . فهم ارادوا الخروج من الوحشة التي يعانيهـا الانسان الحاضر فعادوا ووقعوا فيها .

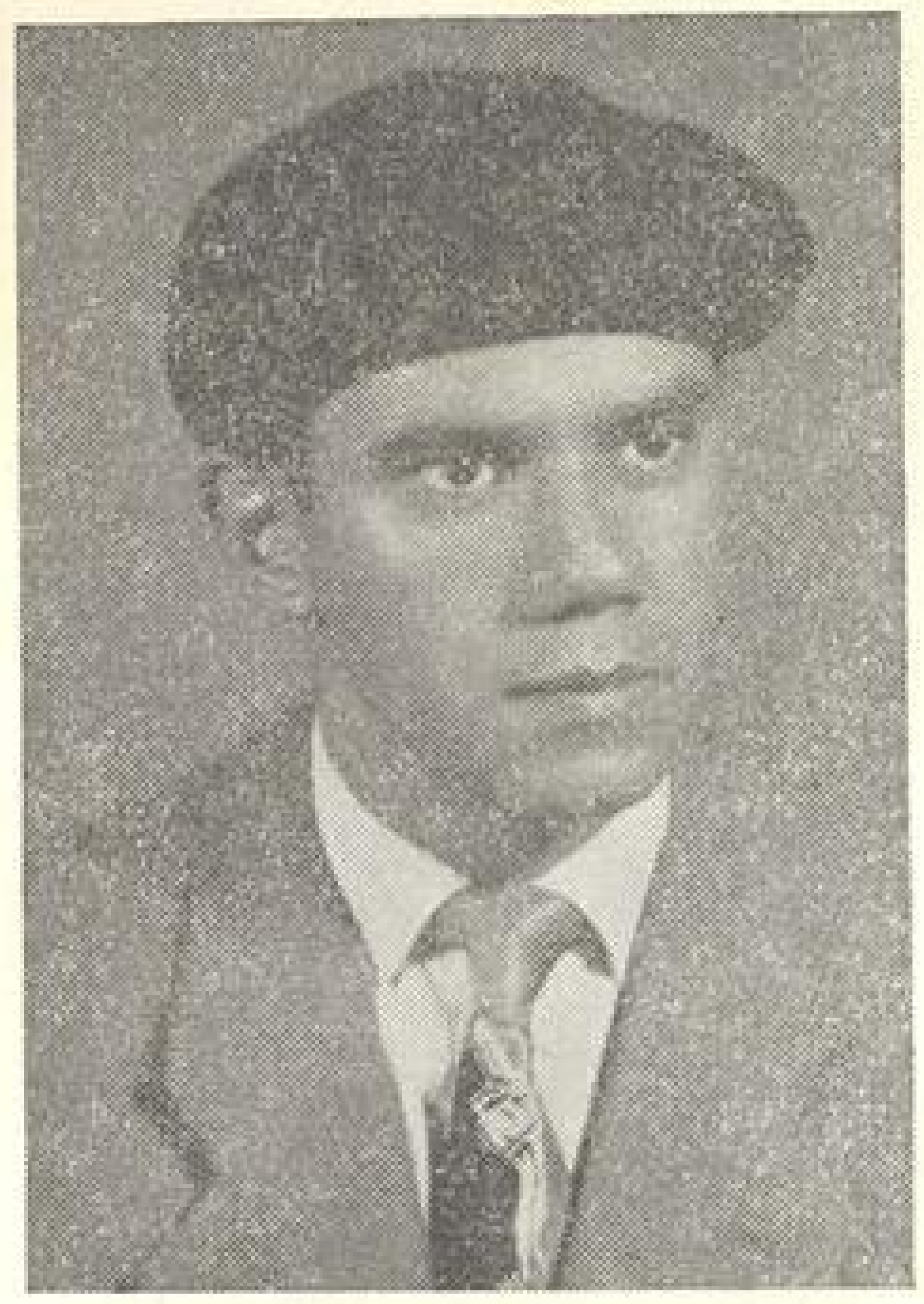
ولكن الامر المهم الذي يخطر في البال هنا هو هـذا الاختيار وذلك التصميم على الاختيار . فهل يمكن لهـذا الاختيار ان يكون حرا خالصا من التأثيرات المحتومة ؟ نعم ان الوجوديين لا يعنون بالاختيار اختيار شيء معين وانما يعنون به الاختيار المجرد الحر ، ولكن هل لهذا الاختيار وجود في الواقع ؟ المفهوم أن معنى الحرية في هـذه المناسبة على وجهين : حرية الاختيار او اختيار الحرية . ومعنى الحرية بصورة عامة هو العمل والسلوك بارادة حرة، ولكن هذه الارادة يجب ان تستمد الالهام من الطبيعـة والسجية الخاصة للانسان اي مـن الحقيقة أو الماهيـة الوجودية ، وذلك لكي يختار الانسان شيئاً يخالف طبيعته. فالحرية من هذه الناحية مقيدة بقيد داخلي . ثم ان الموقف التاريخي الذي نجد انفسنا فيه هو قيد يصعب التحـرر منه . وهذا قيد خارجي . ولكن الوجوديين لا يعترفون بوجود ماهية او طبيعة فطرية خاصة بالانسان ، ولايعترفون ايضا بالموقف التاريخي . ولذلك فانهم ينزعون عن الانسان اية علامات خارجية يهتدي بها أو دوافع داخلية يستلهمها، وكل ما يقولونه هو ان الانسان حر ، يجب ان يختار ، ويجب ان تكون حريته هي الحرية الصحيحة وان يكون اختياره الاختيار الصحيح . ولكنهم ينزعون عن الانسـان اية صفة ملموسة تمكن معرفته بها ، فكأن الانسان خيال حائر ، كلما حاولت التعرف به او التحقق من هويته راغ منك واختفى . فكل شيء هو لا شيء . وهذا معنى قول فيلسوف الوجودية « هايدكر » : « العدم في صميم الوجود يحلل الكينونة الى العدم . » وهذا هو معنى قول سيمون دي بوفوار : « انظر الى نفسي في المرآة عبثا ، واحكـي لنفسي حكايتي ، ولا أستطيع ابدا ان ادرك نفسي كما يدرك الشيء بكامله ، وانا اشعر في نفسي بذلك الفراغ الذي هو نفسي ، واشعر انني غير كائن . » ومعنى ذلك ان الانسان يعيش في عالم اللاشيء داخليا وخارجيا ، وهو الفراغ الذي يبتلع كل شيء . في هذا الفراغ يجد الانسان نفسه وحيدا ، وفي هذا الفراغ يجب عليه أن يختار ماذا يعمل حتى يكون نفسه ويكون المجتمع الذي يعيش فيه . ويصف « سارتر » هذه الحالة بقوله : « اذا لم يكن للانسان الا أن يصنع نفسه ، واذا كان في صنعه لنفسه مسئـولا عن العنصر البشري باجمعه ، واذا لم تكن قيم او مبادىء او اخلاق مقررة سابقا ، ولكن اذا كنا في كل حالة مضطرين الى اتخاذ قرار بانفسنا وجدنا بدون اساس وبدون هداية، فكيف لا نشعر بالقلق والهم حينما نقدم على العمـل ؟ وكل عمل من أعمالنا يضع في الميزان معنى العالم وموقع الانسان في هذا الكون ، وبكل عمل من هذه الاعمـال ، ولو عن غير قصد منا ، نؤلف معيارا للقيم العالمية العامة ، فكيف يمكن ان يظن اننا لا يتملكنا الخـوف امام هـذه

المسئولية الكلية ؟ » وهنا يرى سارتر ان انسانا بمفرده يستطيع ان يقرر بالنيابة عن العنصر البشري ، وان مسئوليته في ذلك مسئولية كلية . فهل هذا الراي مطابق للواقع ؟ لان الانسان قد يعمل ما يضر وما ينفع ، ما دامت القيم والاعتبارات التاريخية العرفية غير موجودة . ثم ان الانسان قد يتقلب في سلوكه من وقت الى اخر ، وفي المواقف المهمة . فالفيلسوف هايدكر كان نازيا في زمان هتلر مدة من الزمان ، ثم انقلب على النازية ، والفيلسوف سارتر كان شيوعيا ثم تحول عن الشيوعية . ولهذا يقول سارتر : « انا موضوع بحيث اضطر الى اختيار نفسي على الدوام » اي ان الاختيار لا يلزم الانسان الا لبرهة قصيرة من الزمن. فالانسان عند الوجوديين في اختيار مستمر ، ولكنهم يقولون ان هذا الاختيار لا يقرره مبدأ سابق او طبيعة بشرية . وهنا قد يختلف الكثيرون مع هذا الرأي ويقولون ان الانسان في سلوكه العادي يسير بوحي من طبيعته . فالاختيار الحر بالمعنى الصحيح او حرية الاختيار بالمعنى الصحيح لا وجود لهما في الواقع ، وانما يتأثر الانسان بطبيعته الحقيقية . وعلى كل فان معنى الحرية من ناحية اجتماعية او دينية او فلسفية فيه اختلاف كبير . ولعل الكلام باختصار عن الاختلاف بين هيكل الالماني وكيركيكور الدانماركي يعطينا طرفا من ذلك .

يرى كيركيكور كما يرى غيره من كبار الوجوديين ان كينونة الانسان الشخصية لا يمكن تحقيقها الا اذا كان الانسان حرا ، والحرية مع المسئولية هي ماهية الشخصية التي يتصف بها الفرد وحده دون غيره . ولما كان الانسان في نظر الوجوديين هو الذي يخلق نفسه على الصورة التي يريدها بعد مجيئه الى هذه الدنيا في فترة العمر القصيرة ، فان على هذا الانسان ان يستعمل اقصى ما يمكن من الحرية بدون التقيد بشيء ، كما ذكرنا سابقا . اما هيكل فكان رأيه خلاف ذلك ، بل كان على النقيض منه ، وكانت هذه الناحية من جملة النواحي التي يقوم عليها الخلاف بين هيكل وكركيكور . فهيكل يرى ان الحرية صفة مقصورة على الله وحده ، وان الفرد اذا اراد ان يكون حرا يجب عليه ان ينخرط في سلك الدولة او المنظمة الاجتماعية التي يعيش فيها وان يخضع لقوانين هذه الدولة او المنظمة لان قوانينها تعبير عن ارادتها ، وارادتها صورة من الارادة الالهية . فالانسان في الحقيقة في رأي هيكل حر في مجال معين محصور ، والروح التي تحل في نفس الانسان هي جزء من روح الامة ، وهذه الروح جزء من الروح الالهية . فالافراد الذين يؤلفون امة او مجتمعا يستلهمون كينونتهم الحقيقية من روح تلك الامة او ذلك المجتمع ، وهذه الروح هي التي تطبعهم بطابعها الخاص . ومعنى ذلك كله ان الانسان في رأي هيكل يكون حرا حينما لا يكون حرا . ثم ان هيكل لا يهتم بان يكون لكل فرد كينونته الشخصية الخاصة ، بل يرى ان المهم هو معرفة الفكرة الكلية للانسان وليس معرفة الخصوصيات والجزئيات عن كل انسان بمفرده . وهذا يتفق مع فلسفة هيكل التي تهتم بالماهية دون الوجود وتهتم بادراك الافكار الكلية ، ولا تبالي بهذه المظاهر التي ندركها عن طريق الحواس في الحياة ، وتبالي بالحقيقة الكامنة وراء هذه المظاهر مثل الجواهر والماهيات التي مهما أوغل الانسان في البحث للوصول اليها لا يجد في النهاية الا ان هذه الحقائق الاساسية لا توجد الا فكريا في الذهن . ومن هنا جاءت فكرة هيكل بأن الحقيقة عبارة عن فكرة او شيء عقلي فقط . وهذه الفلسفة العقلية هي التي ثار عليها الوجوديون وفي مقدمتهم كركيكور ، وعدوها بانها تنقل الانسان الى مجال التصورات العقلية بدلا من ان تنقله الى مجال المحسوسات .

ومن آراء هيكل ايضا ان الانسان يؤدي واجبه في هذه الحياة بتسيير من الروح الالهية المخامرة لكل شيء في هذا الوجود ، وان الانسان مقيد بروح الزمان الذي يعيش فيه ، وخاضع لارادة الشخصيات التاريخية العالمية التي تقرر مجرى التاريخ في الادوار المختلفة بوصفها واسطة من وسائط الله في التحكم بهذا العالم . وهنا يختلف كركيكور عن هيكل اختلافا آخر ، وهو ان الانسان في رأي كركيكور فرد مستقل بنفسه يهتم بكينونته الخاصة ولا يهتم بمجرى التاريخ الكوني العام الذي يتكلم عنه هيكل . ثم ان هيكل ينزع عن الانسان مسئولياته عما يجري في هذا العالم ولا يجعل له وضعا يحاسب عليه . وهذا في رأي كركيكور انتقاص من مقام الانسان يجب تعديله بل يجب رفضه . لان الانسان بحكم حريته المطلقة واستقلاله بنفسه مسئول عن اعماله ، ليس فيما يتعلق بنفسه وحده ولكن فيما يتعلق بغيره ايضا . ويختلف كركيكور كذلك مع هيكل في ناحية اخرى ، وهي ان من صفات الانسان المستقل الحر ان تكون قراراته من وحي نفسه بدون ارشاد او ايعاز . وهنا يظهر ان هيكل ينزع عن الانسان هذه العفة ويجعله آلة في يد (روح الزمان) او ريشة في مجرى التاريخ ، لا يستطيع تثبيت شخصيته ولا تكوينها بحسب ما يريد .

لندن **حسن الكرمي**



محمد احمد العزب

محمد العزب شاعر العواطف الانسانية

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

كنت اثناء انعقاد المؤتمر الوطني بالقاهرة ارقب شاشة التليفزيون لارى واستمع النقاش الدائر بين الاعضاء والمسئولين ، وقد لفت نظري شاب جريء قام يناقش السيد نائب رئيس الجمهورية في بعض مشكلات الطلاب ، ويدافع عن رأيه في حرارة واخلاص ، وكان اسلوبه الادبي في الذروة الممتازة من القول ، فخيل الي اني اعرفه ، واخذت اتفرس في ملامحه حتى سمعت المقدم يذكر انه محمد احمد العزب !!

رجعت بي الذاكرة قريبا الى ايام المنصورة حين كان العزب طالبا باحد معاهدها وقد طارت له سمعة ادبية بين زملائه واساتذته اذ كان يغشى المنتديات الادبية محاضرا ومعلقا ، ويراسل المجلات شاعرا وناقدا ، وما أتم دراسته في معهده حتى ارتحل الى اكمالها بالقاهرة ، فوجد متنفسا فسيحا لمواهبه ، واذكر ان جمعية الشبان المسلمين ظلت بضعة اعوام ، ومنصة مركزها الرئيسي بالقاهرة ، في ندواتها الاسبوعية لا تخلو من حديث او قصيدة للاديب الشاب ! وقد كان من مواهبه المتعددة موهبة الارتجال الخطابي البارع ، فجلى كثيرا وحلق ، ومن حسن حظه انه كان شاعرا في خطابته ولم يكن خطيبا في شعره ، فدوت له شهرة كبيرة بين المستمعين ، وتلقفته الاندية الاخرى في شوق واهتمام .

نشأ الاديب محمد العزب في احدى قرى الدقهلية ببلدة يكثر فيها عشاق الادب والشعر من اصلاء ودخلاء ، ولي باكثرهم صلة تجعلني احكم على انتاجهم في ارتياح صادق، وطبيعة هذه البيئة المتطلعة للثقافة ان يكثر في ابنائها التنافس الحميد ، والتسابق السار في مضمار الثقافة ، فما يأتي يوم الجمعة حتى يعود اليها اكثر طلاب المدارس والكليات من أشبالها ، وتنتهز المناسبات دينية وسياسية للقول ، فكم من شاعر وكم من زجال وكم من خطيب ، وقد كان للاستاذ العزب على حداثة سنه سبق رائع في بلدته ، حتى اجمعت الكثرة الكاثرة على نبوغه المبكر ، وارهصوا له بالمستقبل اللامع المرموق . ومرت الايام فاظهرت سبقه بوضوح وجلاء حتى صار — حرسه الله — من نوابغ الشباب لا في قريته الصغيرة بل في العالم العربي بما ينتج ويذيع !

وقد كانت المسابقات الادبية منفذا شريفا اجتاز منه الشاب طريقه الادبي ، اذ اعتاد المجلس الاعلى للفنون والآداب أن يوالي مسابقات الشباب الجامعي في شتى مناحي القول ، واعتاد الاستاذ العزب أن يسهم بانتاجه فكان الظفر حليفه، ورددت الجرائد اليومية انباء اكتساحه السباق ، حتى ظهرت جريدة الجمهورية ذات صباح تحمل صورته وقد كتب عنه انه سيجلس في المستقبل مكان العقاد بعد ان سردت ما نال من جوائز متكررة !! توجت جميعها بفوزه الظافر في مسابقة المجمع اللغوي بمصر حين تقدم اليه بديوانه الشعري « أبعاد غائمة » فكان احد ثلاثة كتب لهم التوفيق ولعله ارقهم شاعرية وأوقدهم عاطفة !! ولم يقتصر على مسابقات الادب في المجلس والمجمع بل اتجه الى مسابقات الدراسات العلمية التي يقيمها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بوزارة الاوقاف ! وكان الفوز نصيبه الميمون ايضا ، ويعلم الذين يخوضون هذه المسابقات انهم يعانون رهقا بالغا في ابحاثهم اذ ان الموضوع يفرض عليهم فرضا ، وهم مكلفون بدراسته واستيعابه على وجه ممتاز يكفل لهم النجاح مهما كان بعيدا عن مجالهم الفكري ! ولكن الثقة في الله والتمرس بالنضال تدفعهم الى العمل ، ولعل الاستاذ العزب قد حمد السرى حين وجد بعض بحوثه العلمية تطبع في كتب خاصة يصدرها المجلس الاسلامي الاعلى بوزارة الاوقاف ويذيعها على الناس .

والقراء ليسوا بحاجة الى التعرف على انتاج العزب فمنذ سنوات وصحف الادب بمصر والعالم العربي تفوح بآثاره وفي مقدمتها الرسالة والثقافة والاديب والشعر والعربي وحوار الى ما لا اعلم ، وقد حرص المجلس الاعلى للفنون والآداب على اذاعة شعره فنشر للناس ديوانه «أبعاد غائمة» منذ ايام ، ووقعت في يدي نسخة منه فراقني ان اقول عن الشاعر بعض ما أعرف ، مسجلا ما انطبع في نفسي عنه ، ولئن كنت انظر اليه بعين الاعجاب فيعلم الله اني لم اتحيز له في شيء ولكني انقل عن خاطر مخلص واحساس امين . . .

محمد العزب شاعر العواطف الانسانية ! لانه يتغلغل باحساسه الى مواقف الروعة في الحياة فيصورها كما تجيش في اعماقه وتتسرب في طواياه ! ولقد كان حظ العواطف الاليمة من انتاجه اكثر بمراحل عدة من حظ العواطف السارة ، اذ ان آهة واحدة من حزين بائس ترج مشاعره رجا ، فاذا طرقت مسامعه زغردة مرحة تجاهلها او حاول ، ولا يصدر الشاعر في ذلك عن خطة مرسومة تدفعه الى لون معين من القول ولكن ظروف بيئته ومشاهداته جعلته ينفعل بالالم ، ويتملاه محللا مصورا ولا يستريح حتى يعرضه في لوحاته الشعرية ، فكما ينظر الى بكماء او صماء او عمياء فتدمع عينه وينفطر فؤاده ، فانه اذ ذاك يجتر لواعجه اجترارا ليهدىء احساسه المشتعل بتصوير خواطره في ابيات ، وما ابياته الا دموع تتقاطر ، فتهدهد الحزن وتدعو الى العزاء !

تمر به بائعة اليانصيب في اسمالها البالية يكاد ينطفىء شبابها الباكر تحت هبات الجوع والحرمان ، تبيع اليانصيب لتسعد المحظوظ دون ان تستطيع لنفسها سعادة وقد مشت حافية في الدرب الذي يكاد يفيء خيالها بينما يمر بها المتعاظمون لاعنين صافعين يسبونها في وقاحة ويشيعونها بالاشمئزاز والتقزز ، وما احد احس بمأساتها غير هذا الذي شده بازائها ، ونظر اليها مأخوذا ذاهلا ثم رجع الى خواطره الناقمة لينقل عنها قوله :

مشت في الدرب حافية يفيء خيالها الدرب
ويا كم نام في يدها وفوق ذراعها حب
ومات فليس للطاوين في اوهامنا قلب
دمى صخرية الاشواق لا تهفو ولا تصبو

تبيع اليانصيب ولا نصيب لها وتنطلق
وتوشك ان تبيع سواه راغمة وتحترق
فخلف جدار بسمتها يصيح الجوع والارق
وتبكي قصة بيضاء خط سطورها العرق

هنا كل الدروب السود تعرف ظلها الساري
تضيق بخطوها المذعور يصفع صمتها الضاري
فكم طافت هنا حيرى بلا اهل ولا دار
وكم رسمت على الجدران ظل ضياعها العاري

ويا كم جن في فمها سؤال عاش يضنيها
ترى اين التي ستفوز ان سعادتي فيها
ويعييها الجواب فتلقف الاوراق تحصيها
وتمضي للطريق الجهم تطويه ويطويها

وتضع له المقادير تجاه شباكه فتاة عانسا تنتظر القادم الحبيب في لهفة واستبطاء وتخذلها الاعوام على طولها الممض فلا تترك لها غير الفراغ الجهم ، والوحشة القابضة ، والشاعر من وراء الايام والشهور يرصد انفعالاتها الثائرة وسخطها المتبرم ، ويشفق عليها بادىء ذي بدء ثم تستشري النقمة في صدره اذ يتحول الاشفاق حزنا على اللهيفة الضارعة ، وأسى لاهبا على كآبتها الموحشة ، وهما كاويا يفري طواياه ! كأنه وحده دون الناس مسئول عن تعاستها وحرمانها ! وتفور أحاسيسه راغية هائجة ، فينقل عنها ملحمة مروعة رائعة قرأتها عدة مرات فعلمت اي بركان يضطرم في صدر هذا المشفق الحزين ، ولا ادري كيف انقل هنا بعض ابياتها ، فالقصيدة سبيكة ملتحمة ذات وحدة لا تقبل الانفصام ؟ لقد اعتاد محللو الشعر التقليدي ان يقدموا البيت أو البيتين في مجال الاستشهاد مكتفين من لآلىء القلادة بما أحاط بالعنق ، ولكننا مع شاعر مجدد ذي وحدة فنية ، وامواجه النفسية تتلاطم في تتابع بحيث لا تنفصل موجة عن موجة ! اننا حين نجتزىء بالبعض مضطرين نظلم الشاعر ونغبنه ، وعزاؤنا انه ظلم لا حيلة لنا فيه فليس من المستطاع ان ننقل الديوان في مجلة او الملحمة في بحث ! وليحسبها القارىء في وضعها الاخير زهور مبعثرة تومىء الى روض ناضر بعثرتها عنه قسوة الريح ! هذه العانس الحزينة تخلو الى نفسها لتقول عن املها البعيد :

ربما ينسل من خلف مجاهيل المدى
ليدق الباب دقات رفيقات الصدى

آه كم يشتاق قلبي نقرات من يديه
وجداري الساهم الظمآن كم يهفو اليه

كل ما في البيت مشدود الذراعين يصلي
مخدعي الباكي ، اناء الزهر ، احلامي وظلي

مثل ما بالرمل من توق الى سيب المطر
مثل ما باللحن من شوق الى بوح الوتر

مثل ما بالزورق المجروح من حب القرار
من لهاث الشوق للشاطىء في ليل البحار

بي اليه غير اني لا ارى يوما خطاه
تزرع الفجر على درب جراحي لا اراه

خلف بابي الف حلم يخفق الوهم صداها
الف غصن يحرق الجوب براعيم صباها

وسريري كم على صدر سريري بت عبرى
أحضن اللاشيء امتص عذاباتي حيرى

أتمنى في ظلال الصمت اطياف لقاء
تحت كرم هارب خلف متاهات الفضاء

ارتمي تحت خطاه طفلة الشوق سليبه
وهو يدعوني الى دنيا انطلاقات غريبه

فارسي الموعود يا حلمي ويا فجري الظمي
أذرعي تدعوك من خلف الضباب المعتم

الطريق

طريق طويل
هذا الذي نسير فيه جماعات وافرادا
الى اين ؟... لا ندري
هذا يبتسم وذلك يبكي
يسقط حولنا افراد
ونحن نسير .. لا ننظر الى الوراء
يتخلل هذا الطريق مفاجآت
تارة سارة واخرى حزينة
الزهور تنبت بشكل فجائي امامنا
كانها جنيات سعيدة معطاء
والاشواك تحفر في اقدامنا اخاديد
تتقاذفنا اربعة فصول .. تلوننا بالوانها
الربيع يثيرنا ، يفتق فينا اغصانا خضراء
والصيف يملؤنا بالمحاصيل
ليأتي الشتاء فيسرقها منا
حياتنا مفاجآت ، والوان وصور .

حلب — تيماء الناصر

اذرعي المصلوبة العذراء تدعوك فهيا
كن كما شئت اذا اقبلت صلدا او سخيا

الذي اشتاقه ان تطرق الباب وتدخل
باحثا عني عن الكرم الذي اوشك يذبل

وهكذا يسير الشاعر بلوحاته ليرسم مع بائعة اليانصيب وعانس الشرفة صبي الكواء والشاعر المسروق من نشال ، والعائشة على الجليد ، والشهيد الذي تحتضن امه جثته ، واللاجىء الفلسطيني المشرد ، والزوجة العاقر التي لا تلد ، والمشردين على الرصيف من ابناء السبيل !

واذا كان هؤلاء جميعا يحسون بآلامهم ، فالشاعر في كثير من سبحاته ، يتألم لمن لا اخاله يتألم ، فالخادمة حين تلبس فستانا جديدا ذا الوان زاهية قد تكون فرحة مختالة لان فتى احلامها خادم مثلها، ولكن الاستاذ العزب لا يفترض ذلك بعاطفته الحساسة المطبوعة على الآهة والالم ، بل يرى ان صاحبة الفستان الجديد ذات عذاب مبرح ، فالناس يعرفون ضعتها فلا يلتفتون الى جمالها ، تمر فلا يشهق درب ولا يلتفت جيد ولا تقف الابصار ذاهلة كما تقف للمغير هذا الذي يحسن الشاعر ان يتكلم عنه ، ويبدع في تصويره الادبي اذ يقول على لسان الخادمة :

فستاني سبعة الوان ما اجمل لون الفستان
تمتد خيوطه منه تداعب ربوة صدري الجوعان
ويلف على خصري نزقا كالطفل النشوان
واذا امشي تتهدل منه شفوف ربيع فتان
وانا ارقبه أتحسى فيه حرمان الحرمان
جوعي ، والخصب ربيع الارض مشاتل ورد ريان
فستاني يا اجمل لون عنى لمسائي اليقظان
هل تدري في توقي للقائك جبت فضاء الاكوان
عانقت الحب وعانقني ورفضت آلوف الفرسان
وحلمت بمن يهواك علي بمن يسترحم احضاني
لكنك يا فستاني جئت وارهق يومك وجداني
فالشارع كان يمور وليس يحس برجفة بركاني
لم يشهق درب لم يشهق بشر بنشيد استحسان
لم تقف الاعين ذاهلة لم تجمد حتى لثوان
فتهدم قلبي وارتعشت ابعاد زماني ومكاني
فستاني حلو لكني انا فيه بقايا انسان

وكذلك يرى فتاة تتعلق بذراع شاب عابث ، وقد تكون في نفسها سعيدة غافلة عن غدها المؤلم ، فتتأجج البراكين في صدر الشاعر ويعجب للاهبة المخدوعة ، خدرتها بسمات غادرة ماكرة ويصيح في ذعر الخائف من وقوع كارثة محققة :

هو كاهن حب يا حسناء وصانع كلمات حلوه
ماتت في كفيه شموع وتلاشت كبقية غنوه
وترامت تحت خطاه زهور كانت تحلم بالربوه
هو ذئب ينتهب الاعراض ويرقص يرقص في نشوه

هو ريح صفراء الاشواق تدف لعربدة النهر
للهمس الحلو لرحلة ظل القبل على الثغر الوردي
لشرود غدائرك السمراء هناك على شفق الخد
والزهرة ان لم تحرسها الاشواك اذلتها الايدي

أغراك بكلمات الحب المنغومة هو عاشق قبله
لو كان يحبك كان بصونك كان يضيء ثراك بشعله
فالحب صلاة بيضاء الاصداء وليس هوى ليله
وصديقك وثني الاشواق يقدس جسمك يا طفله

وكم اتمنى ان أسير مع الشاعر فانقل عنه وانقل ، ولكن حسبي ان اشير !

على ان آخر ما قرأت له رائعة بديعة تحت عنوان ثلاث اغنيات لخطيبي بمجلة الشعر (ابريل سنة ١٩٦٥) جعل الاغنية الاولى عن خواطره قبل اللقاء ، والثانية عن امله الحالم والثالثة تتحدث عن عواطف اللقيا ومشاعر الانس ، واذكر ان صديقي الاديب المتذوق الحاج علي احمد عبد المالك قد قرأها واندفع يقرظ ويثني ما استطاع ! اما انا فقد وقفت عند قوله :

حدثني عنك صديق يرعى ودينا
يخلص يا حبي لكلينا
فقطعت اليك الابعاد
صيادا يلتهم الآفاق بنظرة هدب صياد !

ثم قلت في نفسي : الا يستطيع الشاعر ان يحب حتى يبحث له صديق عن حب ! ومتى كان الحب نتيجة لمسعى صديق يخلص الوداد ؟ واين هذا الصديق النادر ؟ ليتني اعرف اسمه .

الفيوم ــ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

قصة

الذبابة الخضراء

للكاتب المجري كالمان ميكزات

ترجمها عن الانجليزية

عيسى الناعوري

اصيب القروي العجوز ، أغنى اهل القرية ، بمرض افضى به الى حافة الموت . لقد قضى الله بان يجعل منه عبرة للجنس البشري :

ـ « انظروا الى جون غال . ماذا تظنون انفسكم ايها البشر الفانون ؟ انكم لستم شيئا . ان جون غال الآن شخص له اهميته حقا ، فحتى قاضي الولاية كثيرا ما يصافحه ويهز يديه ، وكونتيسات القرية يأتين لزيارته . انه أغنى واحد فيكم ، ومع ذلك فان في وسعي ان ابتليه. لم اشأ ان ارسل اليه ذئبا جائعا ليعضه ، ولا شئت ان اقتلع سنديانة ضخمة وادعها تسقط عليه وتسحقه ، بل قامت بالمهمة ذبابة حقيرة » .

وذلك ما حدث فعلا : فقد عضت يده ذبابة ، وسرعان ما تورمت وقاحت واخذت تزداد سوءا واحمرارا . واستطاع الكاهن وسيدة القصر ان يقنعاه باستدعاء الطبيب . وكان يود ان يدعوا له الجراح ، ولكنهما زينا له أن يبرق مستدعيا احد الاخصائيين من بودابست . واختير البروفسور بيرلي . ان زيارة واحدة منه تكلف ثلاثمئة فلورين ، ولكن هذا المبلغ يكون قد انفق في وجهه الصحيح .

فقال الفلاح : « كلام فارغ ! فان لدغة ذبابة حقيرة لا يمكن ان تؤذيني بما يساوي ثلاثمئة فلورين ! »

فاصرت الكونتيسة ، وعرضت عليه ان تدفع هي نفسها اجرة الطبيب . وهكذا نجحت الحيلة ، فلقد كان جون غال فلاحا معتزا بنفسه . وارسلت البرقية ، وجاء شاب نحيف ، على عينيه نظارتان، لا يوحي منظره بالهيبة على الاطلاق . لقد وصل في عربة كانت قد ارسلت لملاقاته في المحطة .

واستقبلته على الباب السيدة غال ، زوجة الفلاح العجوز الشابة ، وسألت : « أأنت الطبيب الشهير القادم من بودابست ؟ تفضل وألق نظرة على زوجي . لقد أقام الدنيا واقعدها من لدغة ذبابة في يده ، كأنما الذي عضه فيل ! »

كان هذا غير صحيح على الاطلاق، فان جون غال لم يقل كلمة واحدة ، ولم يذكر لدغة الذبابة الا حين كان يسأل عنها ، وحتى عند السؤال كان يجيب باقتضاب شديد . ولقد لزم الفراش دون مبالاة او اكتراث ، وكان رأسه يستريح على جلد خروف ، وغليونه في فمه .

وسأل الطبيب : «ما بك ايها الرجل الشيخ ؟ لقد علمت ان ذبابة لدغتك !» فاجاب الشيخ من بين اسنانه المطبقة على الغليون : « هذا هو الواقع » .

ـ من اي نوع من الذباب كانت ؟

فاجاب باقتضاب : «ذبابة خضراء»

فقاطعته المراة قائلة : « امض انت في استجوابه ، فعلي ان انصرف انا الى عملي . ان لدي تسعة ارغفة في الفرن » .

فرد الطبيب الشاب شارد الذهن: « حسنا يا امي ! »

فارتدت نحوه حالا كالملدوغة ، ويداها الى خصرها ، وقالت في غيظ وغنج معا : « ماذا ان لك انت من العمر ما يجعلك ابا لي ... يبدو انك لا ترى جيدا بهاتين النافذتين اللتين في مكان العينين منك ! »

واستدارت الى الخلف حالا ، فدارت التنانير المنشاة كالريح وهي تمضي خارجة ، منتصبة القامة ، في زهو الشباب وقوته وعنفوانه . وتبعها الطبيب بعينيه . لقد كانت جميلة جمالا شيطانيا ، واصغر كثيرا في سنها من الطبيب ، وطبعا كانت اصغر جدا من زوجها .

وهمّ بان يقول كلمة اعتذار ، غير انها كانت قد غابت قبل ان يفوه بكلمة .

ـ حسنا . دعنا نرى اليد . أتؤلمك كثيرا ؟

فكان الجواب : « نعم ، انها تؤلمني ألما غير قليل » .

ففحص الطبيب اليد المتورمة بالقيح ، فبدت على وجهه دلائل الالم والامتعاض .

ـ سيئة جدا . لا بد انها كانت حشرة سامة .

فقال جون دون اي تأثر : « ربما ! يمكنني ان اقول انها لم تكن من النوع العادي » .

ـ لقد كانت ذبابة آتية من جيفة نتنة .

وكان كل ما فاه به جون غال لهذه المعلومات لعنة صامتة .

ـ من حسن حظك انني وصلت في الوقت المناسب . ما يزال في وسعنا ان نفعل شيئا ، اما غدا فسيكون متأخرا جدا ، وربما تكون قد قضيت قبل وصولي .

فقال الفلاح وهو يضغط على التبغ بابهامه داخل الغليون : «هذا غريب!»

ـ تسمم الدم يسري سريعا . ليس لدينا وقت نضيعه . عليك ان تقوي من اعصابك ايها الشيخ ، لان ذراعك لا بد من ازالتها .

فسأل في دهشة وشيء من السخرية ، وفي كثير من الاستسلام : « ذراعي ؟ »

ـ نعم ، لا بد من ذلك !

فلم يقل جون غال شيئا ، بل هز رأسه فقط ، ومضى يتابع التدخين ، بينما مضى الطبيب يتابع الكلام محاولا اقناعه: «ان هذا لن يوجعك . سأنومك اولا ، وعندما تستيقظ تكون قد نجوت ، والا فستكون في مثل هذا

الوقت من الغد قد قضيت كما يقضي الفأر ، ولن يستطيع غير الخالق ، سبحانه ، ان ينقذك » .

فقال الفلاح كأنما اتعبه هذا الكلام الكثير : « اوه ! دعني وحدي ! » ثم استدار نحو الحائط واغمض عينيه.

لم يكن الطبيب مستعدا لمثل هذا العناد الحرون ، فترك الغرفة ومضى ليتحدث في الامر مع المرأة .

فسألته بكل ما استطاعت من عدم المبالاة ، وهي ما تزال منصرفة الى عملها دليلا على استخفافها بالطبيب : « كيف حال زوجي ؟ »

ــ سيئة جدا . لقد جئت الآن لكي اطلب اليك ان تقنعيه بان يأذن لي بقطع ذراعه .

فصاحت وهي ترتد نحوه في مثل بياض الفوطة التي امامها : « اعوذ بالله ! اليس من ذلك بد ؟ »

ــ ان لم نفعل ذلك فسيموت خلال اربع وعشرين ساعة !

فاصطبغ وجهها بالحمرة وهي تمسك بالطبيب من ذراعه وتجره الى غرفة المريض ، وهناك قالت لهويدها على خصرها : « هل ترى شكلي شكل امرأة ترضى بأن تكون زوجة رجل مقطوع الذراع ؟ افضل ان اموت خجلا . فاهم ؟! حسبك أن تنظر اليه !... » ثم التفتت الى زوجها وصرخت قائلة : « لا تأذن له بان يقطع ذراعك ، يا جون . لا تحاول ان تصغي اليه » .

فنظر اليها الفلاح العجوز نظرة مودة ، وطمأنها قائلا : « لا تبالي ، يا كريسكا ، فلن يكون هنا جزارون ولا ذبح ، وليس في نيتي ان اموت اجزاء ! »

وعبثا حاول الطبيب ان يحدث الرجل العجوز عن ظلمة الموت ، وعن جمال الحياة ، وعبثا استدعى الكونتيسة من القصر لكي تدافع عن وجهة نظره ، وكذلك الخوري ، وجميع الخطباء المفوهين والشديدي الاقناع في القرية . لقد ظل جون غال على عناده ، يأبى ان يقطع جزء من جسده. ان الخضوع الذي يلاقي به الفلاح الموت ، دون مرارة ، ودون لوم ، ودون دموع لا جدوى منها ، كان يتجلى كاملا في الهدوء البادي على وجهه وفي نبرات صوته . ان الموت لا يثير في نفسه شيئاً من معاني الخوف . اذا كان اجله قد دنا فانه مستعد للذهاب ، كما ذهب من قبله ابوه وجده .

كان واضحا ان لا فائدة ترجى من التوسل الى الرجل العجوز لكي ينقذ نفسه . الا ان الاهتمام العظيم جدا الذي كان يبديه الطبيب المهووس لم يلبث ان لامس قلب الرجل ، فرثى لاضطرابه، وتألم كثيرا لان هذا الرجل كان حزينا الى هذا الحد . وبشيء يجمع بين السخرية والحزن شاء ان يؤاسي الطبيب .

وفجأة تذكر الطبيب ان اعتبارات المال قد تفعل فعلها في الفلاح ، فقال :

ــ « انت لا تعرف انه لا بد لك من دفع الثلاثمئة ، سواء اقطعت ذراعك ام لم اقطعها . وانه لتبذير للمال ان لا تدعني اجري لك العملية . انها لا تستغرق أكثر من خمس دقائق » .

فقال الرجل بهدوء تام ، كانه يساوم على شراء حذاء : « في وسعك ان تصف لي اي دهون ، لا لشيء الا لكي تستحق اجرك » .

كان الحديث دون جدوى . فخرج الطبيب مغتاظا فاشلا ليسير قليلا ويفكر في الامر ، ويتناقش في المسألة مع بعض عقلاء القرية . ولقد وجد ان من الخير على كل حال ان يستدعي كاتب العدل ، والقاضي الى جانب سرير المريض ، وان كان يعتقد بعدم جدوى ذلك ايضا . وكانت الزوجة الشابة هنا طوال الوقت لتفسد اية خطة شريرة يقوم بها الطبيب . ولم تضع فرصة دون ان تلقي بكلمة او كلمتين لتزيد من عناد زوجها . فراح الطبيب يحدجها بين الحين والحين بنظرة شزراء ، حتى لقد صاح بها : « امسكي لسانك حينما يتكلم الرجال ! » فردت على اهانته ، وجسدها كله يرتعد من الغضب : « ان للدجاجة شخصيتها على مزبلة الديك !... »

فاسرع جون غال الى حسم النزاع وقال : « لا تكوني كثيرة الصخب يا كريسكا. الافضل ان تذهبي وتحضري زجاجة نبيذ للزائرين » .

فسألت : « من اي برميل » .

ــ من البرميل ذي المئتي لتر . اما لجنازتي فالافضل ان تفتحي البرميل ذا الثلاثمئة لتر ، فقد بدأ يصير طعمه حامضا .

لقد كان تام الخضوع لفكرة الموت. وشرب الزائرون وغادروه لكي يعالج سلامه مع الله . وفي الحوش التقى الدكتور بارلي بالاجير ، وهو شاب بادي القوة ، يجيد القيام بكل عمل. فقال له : « اعد العربة ، فساغادر هذا المكان خلال نصف ساعة ، وقل للسيدة غال انني لن ابقى هنا للعشاء».

وتوقف خارج الباب مترددا في ما يجب ان يكون عمله التالي . ومن خلال شق البوابة رأى الرجل يصعد الى السيدة غال . ولم يستطع الا ان يرى النظرة المغناج التي استقبلته بها ، والاهتمام الشخصي الكبير الذي ابدته حينما دنا منها الشاب الاجير . كان واضحا انهما يلعبان بالنار ، وانه كان بينهما شيء من التفاهم . كل ما عليه الآن ان يجمع بعض المعلومات عن الموضوع . لا بد ان تكون في القرية عرّافة عجوز تعرف كل شيء عن شؤون العشق في القرية ،وتتعاطى عقاقير الغرام . ان كاتب العدل يعرف ذلك دون ريب . وهكذا ذهب اليه .

فقال الرجل : العرافة ريبيكا العجوز . انها تقيم على بعد بابين من بيت اسرة غال .

ودفع لها الطبيب فلورينين ، وقال: « انني احب امرأة ، واود منك ان تعطيني شيئا يجعلها تحبني » .

ــ أوه ، هذا مستحيل يا ولدي . ان شكلك يشبه شكل فزاعة الطيور، والنساء لا يقعن في حب امثالك من الرجال .

ـ هذا صحيح يا امي ، ولكن في وسعي ان امنحها كل ما تشاء من الحرير ، وما تريد من المال .

ـ ومن هي هذه المراة ؟

ـ انها السيدة غال .

ـ في وسعك ان تجني اية وردة ، الا الوردة التي جناها غيرك من قبلك.

كان هذا ما يريد الطبيب ان يعرفه فعلا . فسأل :

ـ ومن يمكن ان يكون الرجل الذي سبقني اليها ؟

ـ انه بول ناجي ، اجيرها . لا بد انها تهيم به حبا ، لانها كثيرا ما تأتي الي في طلب العقاقير . لقد اعطيتها غبار العام الماضي لشجرة عليق عمرها ثلاثة اعوام ، لتمزجه في الخمر التي يشربها .

ـ وهل يشتبه جون غال في شيء من امرهما ؟

ـ ان الجمال الانثوي يهزمه ، على الرغم من ذكائه ودهائه .

فعاد الطبيب الى بيت غال ، فوجد العاشقين ما يزالان يتجاذبان الحديث بينما يتظاهر الاجير بانه يمسح بخرقة في يده ظهور الخيل المعدة لحمل الطبيب الى المحطة . فأشارت اليه ان يدنو منها . وبينما كان ابن المدينة يقترب منها ، مدت يدها الى صدرها واخرجت منه اوراقا نقدية قيمتها ثلاثمئة فلورين ، وقالت وهي تمد يدها اليه بالنقود : « أجر اتعابك يا دكتور » .

فقال الطبيب : « حسنا ، ولكن ضميرك سيظل مثقلا ايتها المراة الجميلة ، لانني لم اعد استحق هذا الاجر » .

ـ ان نفسي ستتحمله تماما ، فلا تبال بذلك ..

ـ حسنا جدا . ضعي حقيبتي فقط في العربة ريثما اودع زوجك .

كان جون غال مضطجعا في المكان عينه الذي تركه فيه ، وكان غليونه مطفأ ، وعيناه مغمضتين كأنهما في اغفاءة . ففتح احدى عينيه وتطلع منها في اتجاه الباب حينما سمعه يفتح .

فقال الطبيب : ـ لقد جئت فقط لكي اودعك .

فسأله دون اكتراث : أأنت ذاهب؟

ـ لم يعد لي ما اعمله هنا !

ـ هل اعطتك المراة النقود ؟

ـ نعم . ان لك امراة جميلة يا سيد غال . انها جميلة حقا !

ففتح المريض عينه الاخرى وقال وهو يمد يده السليمة الى الطبيب : « اهي جميلة حقا ؟ »

ـ ان شفتيها الحلوتين كالكرز الشهي .

ـ انهما لكذلك حقا . ولاحت على وجهه ابتسامة سعيدة .

ـ انني اجرؤ على القول ان ذلك المتسكع ، بول ، سيقضي معها وقتا طيبا ...

فاخذ الفلاح العجوز يرتعش ، وحملق في الطبيب وصاح : « ما الذي تقوله يا دكتور ؟ »

فاطبق الطبيب شفتيه ، كأنما تفوه بشيء لم يكن يقصد ان يقوله .

ـ هراء . ليس هذا من شأني . ان للمرء عينين ودماغا ، وفي وسعه ان يرى الاشياء ويدركها . لقد داخلني الريب حينما رأيتها ترفض ان اقطع لك ذراعك . الا يخامرك ريب في امرها ؟ ولكنني الآن بدأت ادرك . طبعا .. طبعا ...

فأخذ جون غال يهز قبضتيه ، ناسيا في فورة الغضب ان احداهما متقيحة . وجار متألما : « اواه ! ذراعي ... ذراعي ! لا تتفوه بكلمة اخرى يا دكتور ! »

وخرجت جأرة اخرى من صدر المريض حينما امسك بذراع الطبيب بيده اليمنى :

ـ اي بول ، يا دكتور ، أي بول تعني ؟ من هو ؟

ـ « اتريد ان تقول حقا انك لا تعرف شيئا ؟ انه بول ناجي ، اجيرك » .

فامتقع لون المريض ، واخذت شفتاه ترتجفان ، وانبثق الدم متفجرا في قلبه . لم يعد الآن يشعر بأي الم في يده . وفجأة صفح جبينه وحملق: « يا لي من غبي بليد ! كان يجب ان الاحظ هذا من زمان ... هذه الحية في ثوب امراة ! »

ـ لا فائدة من شتم المراة يا سيد غال . ان لديها فتاها ، فهي ملأى بالشباب والحياة . هذا هو الواقع. قد تكون ما تزال بريئة ، ولكنها لا بد لها ان تتزوج بعد ذهابك .. وذهابك اصبح امرا لا بد منه ! ...

فجهد الفلاح العجوز ليتحرك ، ثم التفت الى الطبيب الذي مضى يتابع كلامه قائلا : « انك لن تخسر شيئا اذا هي تزوجت رجلا اصغر منك سنا بعد ذهابك ، ولن تدري بشيء من الامر بعد ان تكون قد اصبحت تحت الثرى . ثم ان عليك ان تغتبط لانها ستقترن بشاب وسيم . ان بول وسيم المظهر » .

كان الرجل العجوز يصرك باسنانه غيظا ، فيسمع لها صوت كانه نابي فيه قد ارتطما بعضهما ببعض .

ـ يجب أن لا تكون طماعا يا سيد غال ، فحرام ان تدع جسدها البديع يضيع سدى دون عناق وضم . ان بول ليس غبيا ، فلن يدع امراة مثلها تمر به دون ان ينال منها نصيبا . وهي على كل حال سترث كل مالك ومزرعتك . ان المراة ايضا تحب ان تعيش . والمجنون الوحيد بينكم انتم الثلاثة هو انت يا سيد غال .

فجأر الفلاح من جديد ، واخذ جبينه ينضح بالعرق ، وكانت المرارة في قلبه تكاد تنفجر .

ـ انت ترى ، يا سيد غال انه خير لك ان تحتضنها بذراع واحدة من ان لا تحتضنها ابدا .

كان هذا كثيرا جدا على الرجل العجوز ، فقفز واقفا ومد ذراعه المتعفنة نحو الطبيب وقال :

ـ هات مشرطك ايها الطبيب ، وهيا اقطع !

عيسى الناعوري — عمان

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

عمر الصالح البرغوثي

بقلم البدوي الملثم

* * *

ولد في بيت المقدس سنة ١٨٩٤ وتوزع تعليمه الابتدائي بين مدرسة دير غسانة مسقط رأس آل البرغوثي والمدارس الحكومية بالقدس وفي عام ١٩٠٤ التحق بـ « مدرسة المطران » الانكليزية وفيها تلقى العربية على المرحوم خليل السكاكيني وفي عام ١٩٠٦ التحق بـ « مدرسة الشباب » الانكليزية وكان المرحوم المعلم نخلة زريق استاذ العربية فيهـا .

ونتيجة لضغط المسؤولين الاتراك أخرج الطلاب العرب المسلمون من المدارس الاجنبية في فلسطين ايمانا من اولئك المسؤولين بان المدارس التبشيرية «اوكار» للاستعمار .

وفي عام ١٩٠٧ التحق المترجم لـه بـ « سلطاني بيروت » ومن زملائه الشهيد سيف الدين الخطيب وعلي رضا النحوي (من صفد أصلا) ، وفي العطلة الصيفية عاد « عمر » الى دير غسانة بقضاء رام الله واسس جمعية سرية سياسية اسماها « الجمعية العربية » وانتسب لـ « حزب العهد » وكان رئيسه عهد ذاك علي رضا باشا الركابي وعزيز علي المصري باشا . وكان من شروط « الجمعية العربية » التي اسسها البرغوثي ان يقتني كل شاب منتم لها بندقية وعتادا فانضم اليها العشرات من متطوعي قرى بني زيد (قضاء رام الله) .

ودخل « عمر » معترك السياسة وعالج الامور العامة وكانت القدس ومنطقتها مسرحا لنشاطه ، ونظرا للتقارير التي تلقاها علي روشن بك متصرف القدس عهد ذاك من زبانيته اغلق « الجمعية العربية » وادخل البرغوثي في سلك الجندية مكرها لا بطلا وارسله الى بئر السبع ليشغل هناك وظيفة كتابية وظل فيها الى قبيل دخول الجيش البريطاني بستة شهور اذ نقل الى القدس ليعمل في دائرة المحروقات .

وفي عام ١٩١٧ ، قبل سقوط القدس بيد الانكليز ، نفي الى انقرة اسوة بالشبان العرب الذين عمد الاتراك الى تشريدهم ونفيهم الى مجاهل الاناضول تخلصا من وعيهم القومي وشعورهم العربي ، لكنه هرب الى جنين بلواء نابلس ولقي فيها صديقيه الدكتور نقولا شحاده وشقيقه الشاعر المعروف بولس شحاده فسهلا هربه الى عنبتا ومن ه.ه٠ هرب الى كور بلد الجيايسة بقضاء طولكرم .

وفي ليلة ضريرة النجم جاءه سرا العقيد رشيد بقدونس من ابرز اعضاء حزب العهد وحذره من الجيش التركي الذي سيطوق قرية كور للقبض عليه فهرب الى القدس مارا بقرية بديا من اعمال لواء نابلس ، وبوثيقة سفر مزورة باسم « محمد محمود » من قرية الكفر ومعلم في مدرستها وحملت الوثيقة توقيع ضابط تركي اسمه « معشوق » .

وهرب « عمر » خفية الى قرية الكفر لكن نائبا المانيا شك في امره فالقى القبض عليه وزجه في كهف مظلم ، وبعد حديث دار بين الترجمان وعمر اقنع هذا النائب الالماني بانه معلم في مدرسة الكفر وان الوثيقة التي يحملها باسم « محمد محمود » تثبت صحة دعواه فقنع الالماني بهذا القول واخلى سبيله .

وفي ليلة سادها الظلام حاول « عمر » الهرب لكن هجوم الانكليز على منطقة الكفر حال دون ذلك فقبع في غار مهجور ثلاثة ايام مع فرسه لم يذق خلالها طعاما او شرابا ، وعندما شاهد الجيش البريطاني مارا به حاول تسليم نفسه لكن الضابط البريطاني المسؤول رفض قبوله .

وفي اليوم الذي حاول فيه الانضمام الى الجيش البريطاني احتدم القتال بين الجيش البريطاني من جهة وبين الاتراك والالمان من جهة اخرى فغلب البريطانيون في تلك المعركة واسر الاتراك عمرا اذ ظنوه جاسوسا للانكليز واصطحبوه الى ضابط تركي مسؤول وهناك روى البرغوثي قصته وابرز الوثيقة التي يحملها باسم « محمد محمود » فصدق الضابط التركي الرواية وآمن بالوثيقة لكن عمرا لم يسلم من سباب الضابط التركي فعاد ادراجه الى الجيش البريطاني وهنا اطلق عليه الاتراك الرصاص وهو ممتط فرسه فاصابوا رجله اليمنى لكنه اندفع على ظهر فرسه حتى لحق بمستشفى متحرك تابع للجيش البريطاني وهناك ضمدت جراحه واخذ الى عابود من اعمال لواء القدس ومنها ارسل الى يافا للمعالجة، وبعد ان استرد عافيته بارح المستشفى الى القدس ليعمل مع العاملين في الحركة الوطنية وفي محاربة وعد بلفور واتصل به الجنرال حداد باشا وسأله تلطيف الجو السياسي المكفهر ، وهدده بالنفي الى مصر لكن البرغوثي لم يذعن لهذا التهديد .

واذ جاءت القدس اللجنة الصهيونية واخذت بالتظاهر ضد العرب ذهب عمر وسماحة الحاج أمين الحسيني وحسن البديري لمقابلة حداد باشا وقدموا له احتجاجا شفهيا ضد اعمال اليهود وتظاهراتهم فأشار عليهم خفية بالقيام فورا بتظاهرات عربية مماثلة اذ ان الحكومة البريطانية اعجز عن أن تحد من نشاط اليهود ونفوذهم العالمي .

وبعد ان ودع اعضاء الوفد العربي حداد باشا حشدوا جموعة غفيرة وهجموا على اليهود وبددوا شملهم .

وتطوع عمر للتعليم مجانا في كلية « روضة المعارف » لصاحبها الشيخ محمد الصالح وتوثقت عرى صداقته بالشاعر الكبير معروف الرصافي ابان عمله معلما للعربية في دار المعلمين بالقدس ، وفي شهر تموز من عام ١٩٢٠ قامت مظاهرة عربية عارمة في بيت المقدس سار على رأسها

جرح في غرسة

آه يا فينوس لو ابصرتها … تطبق الاوراق صفراء نحيلة
تتهاوى للثرى اجنحة … راجفات ... مستفيثات ذليله
نسفها ينزف من شريانها … مثل زيت ساح من جرح فتيله
سلبتها الريح أندى برعم … قاوم الموت بصمت وبطوله

لو رأيت الساعد الغض هوى … مومئا يدعوك بالكف النحيله
يترك الدنيا حزينا ... قانعا … بهناءات السويعات القليله
لهمى الجفن حنانا ذائبا … لندي غاب في فجر الطفوله

غرسة الحب سنحييها معا … بهوى لم تعرف الدنيا مثيله
يورق اليبس على انماله … ورؤى في الظن كانت مستحيله
هو في الارض مسيح لمسه … يرجع الروح الى هذي القتيله
ونعيم خلف رؤيا شاعر … يرشف الوهم ويشتف ذهوله
غنمة من فرص العمر اذا … سنحت قطف الاماني العجوله
تاركا في نفس من يعذله … ندم البخل على ثغر البخيله

فؤاد الخشن

سماحة الحاج امين الحسيني فحكم عليه بالسجن مدة خمسة عشر عاما والاستاذ عارف العارف حكم عليه بالسجن مدة خمسة عشر عاما وحكم على البرغوثي بالنفي الى عكا وبعد ان عاد ثلاثتهم الى القدس هنأ الرصافي عمرا بالقصيدة التالية:

احرزت يا (عمر) المفاخر كلها … فالبس من العلياء ما تختار
اما البلاد فقد حميت ذمارها … لما اضاع ذمارها الاشرار
ولقد رعيت عهودها فتنوقلت … في الناس عن رعيائك الاخبار
فاذا جرى ذكر الحمية بعد ذا … اثنت عليك مواطن وديار
ولئن نفوك فان نفيك لم يكن … عارا عليك واين منك العار ؟!
بل قد نفوك لان ابيت هوانهم … والنفي من دار الهوان فخار
شرف لـ «عكة» ان رأت بك ماجدا … بعلاه تفخر « حمير » و « نزار »
فالقدس حاسدة عليك ربوعها … و «المسجد الاقصى» عليك يغار
ولقد عفوا وهم الجناة وان عفا … عنك المسيء فعفوه استغفار
ندموا فسميت الندامة عندهم … عفوا وذلك منهم استكبار
اهلا بمقدمك الذي بسروره … سيء اللئام وسرت الاحرار

وفي عام ١٩٢٤ نال شهادة الحقوق من معهد الحقوق الفلسطيني بالقدس وزاول المحاماة وعين استاذا للمجلة في المعهد وظل يشتغل هذه الوظيفة من عام ١٩٣٣ حتى عام ١٩٤٨ .

وبعد توحيد ضفتي الاردن في ٢٤ نيسان ١٩٥٠ تحت التاج الهاشمي انتخب عمر « عينا » في مجلس الاعيان عام ١٩٥٢ فنائبا في مجلس النواب عام ١٩٥٤ فوزيرا للتربية والتعليم عام ١٩٥٥ .

آثاره القلمية :

١ – تاريخ فلسطين : الفه بمشاركة الدكتور خليل طوطح وطبع عام ١٩٢٢ .
٢ – اليازوري : الوزير المجهول : طبع عام ١٩٤٨ .
٣ – الربيع بن يونس (مخطوط) .
٤ – تاريخ القضية الفلسطينية والجهاد القومي (مخطوط) .
٥ – المراحل – وهي مذكرات المترجم له .
٦ – محاضرات في شرح احكام المجلة : اعدها على النهج الحديث لطلاب معهد الحقوق الفلسطيني .

وفي عهد الانتداب البريطاني القى عمر محاضرات علمية وادبية في « الجمعية الفلسطينية للمشرقيات » بالقدس وكان عضوا فيها ومن ابرز المحاضرات التي القاها في هذه الجمعية عام ١٩٢٢ محاضرة بعنوان :

Studies In Palestinian Customs And Folklore.

وفي الثاني والعشرين من حزيران ١٩٦٥ توفي المرحوم عمر الصالح البرغوثي في المستشفى الفرنسي بالقدس وظهر يوم الثالث والعشرين من حزيران دفن في مقبرة باب الساهرة ببيت المقدس .

عمان **البدوي الملثم**



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

المحاضر في كلية الآداب بالجامعة الاردنية

* * *

مع الرسامين

الرسامون في الاردن – على ما يبدو – اكثر نشاطا من بقية اهل المواهب الفنية فيه ، ولن يكون هذا الحكم موضع عجب ، ما دام يؤيده الدليل ..

فلم نسمع ان الموسيقيين هناك ، انشأوا لهم ندوة ، واقاموا حفلا عرضوا فيه الوانا من مواهبهم ..

ولم نسمع ان الشعراء والكتاب ، انشأوا لهم رابطة ، ونظموا فيها للناس اياما ، يعرضون عليهم فيها صورا من روائع الشعر .. او الادب .. او القصة ..

ولم نسمع ان جماعة الممثلين ، ائتلفوا زمرة ، وتكاتفوا جماعة ، وبرزوا الى الناس يعرضون عليهم الوانا من المشاهد الحية ، وانماطا من مشهور المسرحيات ..

لم نسمع بشيء من ذلك ، ولم تتردد به الاخبار ..

ولكن الذي سمعناه ورأيناه ، وتناقلته الاخبار ، ان الرسامين عندنا هم الذين فعلوا ذلك ..

فعلوه في ندوتهم التي انشأوها في عمان ..

فعلوه في المعهد الثقافي الفرنسي ..

فعلوه في مدينة القدس ، واستعاروا له اسم الربيع وزمانه ..

واخيرا فعلوه في المعهد الثقافي الاميركي ..

ورأيتني البي داعي الفن ..

فقد عهدتني اتسقط اخباره ، والتمس آثاره ، واتحسس مواضع الابداع فيه ، وأتنسم في آفاقه اريجا من الوحي ، وتطالعني في جوانبه ملامح من العبقرية ، لا فرق عندي في ذلك ، بين مرسوم ومعزوف ومخطوط ..

لا فرق عندي بين تلك الصور على اختلافها ..

فكل واحدة منها حين يحالف التوفيق صاحبها ، تكون آية رائعة من آيات الفن ، تطرب لها ، وتتأثر بها ، وتوقظ في نفسك مواضع الاعجاب ..

ودخلت معرض الرسامين في المعهد الثقافي الاميركي ..

دخلته وانا احس للمكان رهبة ، جعلتني التمس العذر معها لاولئك الاقدمين ، الذين كانوا يعتبرون الفن ضربا من ضروب العبادة ، وخاصة حين يتحدث عن الجمال ويبرز ملامحه ، ثم يجعلون لهذا الفن آلهة ، لها مكانتها الرفيعة بين آلهتهم ..

ولقيني على الباب احد هؤلاء الرسامين ، الاستاذ رفيق اللحام ، وكان دليلي في مسالكه ، يعرفني الى زملائه ، ويبصرني فيما اعبر به من مشاهد ، وما اقف حياله من صور ، يجذبني اليها ما افرغ فيها من جهد مبدع ، وما بذل فيها من اتقان ..

ومضيت اشاهد ما في المعرض ..

فرأيت فيما عبرت به من الوان ..

ان لكل واحد من هؤلاء الرسامين طابعه الذي يتميز به ، فقدرت انها الاصالة التي بلغها كل واحد منهم : فاصبح شأنه في ذلك شأن الكاتب والشاعر ، الذي اختط لنفسه اسلوبا ينفرد به ، ولا يتحول عنه الى سواه ..

وكانت « الزهور » و « الفتاة الفلسطينية » في لوحات الانسة سعاد ملحس ، موضعا لوقفة اعجاب وتقدير ، لم يذهب اثرها من نفسي ، وقوفي الطويل امام لوحاتها العشر الاخر ..

وكانت « الزهور » مرة ثانية ، و « اليوم الماطر » في لوحات السيدة ديانا يواكيم ، موضعا لوقوف احسست معه ، ان فيهما من المعاني ، ما تكاد تنطق به الالوان ، فيستحيل الى كلام ..

ثم وقفت امام « العري » و « ليلة صيف » و «صويلح» في لوحات السيدة سها كاتبة ، فرأيتني اشاهد من لمسات الابداع ، ما قدرت معه ان الرسامة البارعة ، اضافت الى الوانها ذوبا من مشاعر نفسها ، واحاسيس وجدانها ..

واما « بوابة الدموع » و « البدو » و « عازف الناي » في لوحات السيد خضر جميل الظاهر ، فقد كانت تعبيرا صادقا ، يتحدث عن الواقع ، بكل ما فيه من احاسيس الفرحة والالم والانفعال ، وكان الرسام قادرا على ابراز ذلك كله ..

واخيرا وقفت امام لوحات السيد رفيق اللحام ، الذي كان دليلي في تلك السرحة الممتعة ، فرأيت هناك « وجها

من الاردن » و « أمومة » و « عري » و «آدم وحواء » .

ورأيت فيها من التعبير الملهم ، ما جعلني اقرأ من المعاني الكثيرة ، ما يضيق عنه الاطار المحدود ، الذي استوعب كل واحدة منها ، فاهمس معه في اذن صديقي الفنان : « ان شعرك الذي تسجله بريشتك ، امتن من شعرك الـــذي تسجله بقلمك .. وحذار ان تغضبك هذه الشهادة » !

ذلك بعض ما رأيته في معرض الرسامـين في المعهـد الثقافي الاميركي في عمان ..

على انني افتقدت في هذا المعرض الوانا الفتها وعرفتها في معارض سابقة .

افتقدت فيه سلامة الخوري في سرحاته الحالمة ، وفي لمساته الشعرية ، وافتقدت كذلك مهنا الدرة في تصويره الناطق والوانه المعبرة ، وافتقدت آخرين سواهما ..

ولن يفوتني ان اؤكد : بان ذلك بعض ما شاهدته فـي هذا المعرض ، وهو قليل من كثير ، ما كان المجال ليتسع لو اردت ان اقول فيه الكلمة المنصفة ..

عمل غير صادق

قال لي : ارأيت هؤلاء الذين يكتبون اليك ، ليحدثوك عن وقائع يرتبون لها الزمان والمكان ، ويبدعـون لها احداثا ، ويصنعون لها اشخاصا ، يسندون اليهم ادوار البطولـة حينا ، ويجعلون منهم حينا آخر ، ادوات صماء ، تساهم في صنع تلك الاحداث ، دون ان يكون لها غـرض ، او هدف ، او مقصد ..

ارأيت هؤلاء النفر من الناس ؟!

انهم يخلقون من الاحداث حينا ، ما لا يمكن ان تشاهد له مثيلا ، فيما يقع من حولهم ، وفيما يعيشون بين ثناياه من كل يوم ..

وانهم يصنعون من الاشخاص ما لا يمكن ان تبصر لـه مثيلا ، في عديد من ترى ، وفي جمع من يعيشون علـى مرأى منك ومسمع ..

انهم يفعلون ذلك .. فيفترون به على الحقيقة ، التي يعرفونها هم ، ويعرفها أولئك الذين حولهم من الناس.. ويجترحون به على الواقع ، الذي يلامسون حوادثه واحداثه وليس فيها مثل هذا الذي يبدعون ..

فما هو هذا الذي يصنعونه ؟!

ان كانوا يريدون ان يصنعوا منه ادبا ، فما ابعد الادب عن ذلك ، ما دام الادب لا يكون صادقا ، الا اذا صور مـن واقع الناس ، ما يعيش فيه هؤلاء الناس .. وعرض مـن مشاكلهم ، ما تعودوا أن يسمعوا من مثله ، مما يعرفـــون ويألفون ..

فما تسمي ذلك انت ؟! وما رأيك فيه ؟!

قلت : لعلي لا اخرج فيما اجيبك به ، عن حـدود مـا وصفت ، حين قلت : « انه لا يمثل الواقع ، ولا يحاكيه ، مع انهم وضعوه ليكون صورة عنه .. » . فانا اشايعك ، واسميه عملا غير صادق ..

واما رأيي : فاني فيه معك فيما ترى كذلك ، اذ ان الادب لا يكون أدبا الا أذا تميز بالصدق ، وعالج ادواء المجتمع ، بما يلامس هذه الادواء ، ويحدد لها العلاج ..

وحين لا يكون كذلك .. يكون شيئا مفتعلا .. لا يخص احدا ، ولا يهتم به احد ..

رسالة الحياة

عرفته يوم كنا صغارا ، نلاحق الطير ، ونعابث الصبية امثالنا ، ونجد في كل ساعة نلتقي بها ، مجالا صالحـــا للمتعة واللهو ..

عرفته يوم ذاك .. ونشأت بيننا اواصر مودة ساذجة بريئة .. مودة من نوع لا يماثله غيره ..

مودة يتفق عليها الصبية الصغـــار ، ويتواطأون على حدودها وابعادها ، فاذا جاوزوا هذه الحدود ، انقلبت الى عداوة وخصومة ، واذا قصروا عنها ، تقلصت الـى اهمال ونسيان ..

وابرز ما يميز هذه المودة عن سواها : انها لا تعرف نفاق المصلحة ، ولا تزلف الفرض ، ولا محاباة المغلوب للغالب.. وانه ليس لها غير وجه واحد لا يتغـير ، ولا يتلـون ، ولا تطالعك منه صورة تكتم وراءها صورا عدة ..

اجل .. ابرز ما يميز هذه المودة ، ذلك كله ، متكامـلا مجتمعا ..

وكان مثل هذه المودة ، قائما بيني وبين صاحبي ذاك ، فكنا لا نفترق في ساعات لهونا جميعا .. الا ان يكوناحدنا مريضا ، ولن اقول مشغولا ، فلم يكن هنالك من شاغـل يصرفنا عن اللهو .. بل كانوا يشغلوننا بذلك اللهو ، مـن اجل ان يستريحوا به منا ..

وعبرنا من عمر ذلك العهد سنين اربع ..

ثم ترحل صاحبي مع اهله ، الى بلد لا اعرفه ، وتراخت بيننا الايام ، فانسيته ، وشغلت عنه بسواه ، فاصبح بيني وبين ذلك العهد حجاب كثيف ، تراكمت خلفه اشتات لا حصر لها من مختلف الذكريات ..

ورأيتني منذ ايام ، وجها لوجه امام صاحبي ذاك ..

فاذا هو ما يزال يحمل في وجهه تلك الملامح المحببة ، التي عرفته بها ، يوم كنا في عهدنا ذاك ..

وكان سلام .. ثم كانت تحيات حارة ، ايقظت ذلـك السالف البعيد من المودة ، ورأيته مثلي .. قد عبث الشيب بلمتـه ..

فقلت له : اخبرني .. كم من البنين كان حصاد شبابك المدبر ؟!

فضحك وهو يقول : لم يكن حصاده احد منهم ..!!

قلت : ويحك .. وكيف رضيت ان لا تؤدي رسالـة الحيـاة ؟!

كان لي بيت

قولي لهذا الليل ان ينجلي … كرهته .. في ثوبه المخملي
كرهته ، يا عاصفات اهدئي … ويا رياح الموت لا تعولي
تمزق الصمت .. فيا للاسى … يجتاح دنياي ولا ياتلي ..
تصخب في روحي .. تباريحه … شائية .. لاظية المرجل ..
قد كان لي بيت .. ودنيا هوى … كأنه قلب رفيف خلي
وكان لي ، كأنه ، غنوة … غزلتها من دمعي المرسل
رفعته فوق جبين الرؤى … حلما شفيف اللون كالجدول
اطعمته روحي واسقيته … ما شاء من دمعي ولم ابخل
وهبته العمر .. فداء له .. … رغم شقاء العمر .. والمأمل
عيناي قنديل على دربه … يهديه للفجر .. لمستقبل ..
يموج بالعطر ، نغني له … اروع من ترنيمة البلبل
تمزق الصمت ، فلا غنوة … تخفق في روحي.. وفي هيكلي
وعدت كالروح بلا طينة … تشدني للعالم الاسفل !
وحدي ، مع الليل ، بلا مؤنس … او موحش ، كالمارد الاعزل
لا «رائد» حولي..هنالا «رلى» … لا لثغة الملاك في منزلي
قد هدم العش .. فيا بومة … يا حية رقطاء .. لا تعولي
يا لعنة في الدرب ، لما تزل … تسد لي دربي ، ألم تخجلي
أنا الذي سواك.. في عالم .. … كالحلم.. كالفردوس..كالمخمل
وكنت بين الوهم .. أكذوبة.. … تائهة في العالم الارذل
أنا الذي أعطاك تاريخه … أعطاك ما في النفس من مأمل
رفعت دنياك الى عالمي … رفيقة الاحلام والمنهل
لكن غرور الطين لا ياتلي … يشدنا للعالم الاسفل
عودي الى الارض ترابا ، فما … يرضيك غير الفلك الموحل !

الكويت — راضي صدوق

فشاعت في وجهه سحابة من اسى ، وهو يقول : انما حال بيني وبين ادائها .. انه القي على كاهلي ، منذ خرجت الى الحياة ، اعباء اسرة كبيرة ، كل من فيها من بنين وبنات كصغار الطير ، لا حيلة لهم ولا وسيلة .. وما زلت من يومي ذاك .. اقيم دعائم البيت ، التي اوشكت ان تتصدع بعد موت ابي ، وانفرد من بعده ــ وانا ما ازال غض الاهاب ــ باداء ما كان يؤديه من واجب ..

وظللت اصاحب اخوتي واخواتي ، في مراحل طريقهم كلها .. الازمهم واحدا اثر واحد ، لا افلته الا في ميدان الحياة .. ثم واحدة اثر اخرى ، لا افلتها الا في بيت الزوج الكفء .. وصحوت حين صحوت .. فاذا انا قد خط الشيب راسي ..

واذا انا قد فترت عزيمتي ، عن تولي اعباء جديدة ، كان سيفرضها علي واجب الزوجية ، ان انا اقدمت عليها ، وسعيت في اثرها .. فاعذرني اذا قلت لك : انني اديت رسالة الحياة .. وانني اكملتها على خير وجوهها .. وان لم اكن مسؤولا عن بدايتها ..

فقلت لصاحبي : اللهم نعم .. انك اديت رسالة الحياة ..

وان كثيرين في مثل موقفك يتهربون من ادائها، ولكنك لم تفر مثلهم .. وابيت الا ان تكون ممن يؤثرون على انفسهم ، ولو كان بهم خصاصة .. فانعم بما فعلت .. وحياك الله ..

عمان — محمد سليم رشدان



انور الجندي

كتابات الريف

بقلم انور الجندي

***

عندما يتطلع الكاتب وهو يوغل في العقد الخامس الى الامس البعيد ممثلا في الفترة الحرجة ، فترة القلق والترقب ومحاولة رسم الطريق ، يحس قطعا بمدى ما قطع من مراحل الطريق . هناك في العشرينات وقبل ان تكتمل . في سن السابعة عشرة وقد اوقدت في أعماق النفس مصابيح الادب والصحافة والقلم في الريف على شاطىء الابراهيمية . حيث ولدت هذه الاحلام ، القاهرة ، والصحافة واسرة القلم .

اي كتابات هذه ، اي هدف ، أي رسالة يمكن ان يرسمها القلم في هذا السن الباكر وهو خلو من كل زاد ، ما قراءاته اذ ذاك الا قصاصات الصحف ، ما لقاءاته اذ ذاك الا مع بعض الشيوخ، وقليل من الاطباء والمحامين والمهندسين حيث حياة الريف لا تتيح الا تلك الاسمار الساذجة الضحلة التي لا تعطي الا هوامش الهوامش في تعليقات حول السياسة او الاحداث . ومن هنا يبدو ذلك الاحساس العميق بالتطلع الى الكتابة والجري في الحلقة مع فرسان تلمع اسماؤهم وتبهر الشاب الصغير ، الذي كان يحلم يوما بان يرى اسمه ممهورا به نصف عامود في الصفحة الاولى من جريدة كبرى . يومها لم تكن صور الكتاب تنشر بجوار اسمائهم والا لكان تطلع الى هذا الحلم الذي تحقق من بعد من غير ان يكون قد مر بمرحلة التخمر والترقب .

واذا كان ذلك الامل في كتابة نصف عامود قد تحقق قبل ان يترك الريف حين كتب « جولات » في جريدة الوادي ، فان ما حدث كان اكبر حقا مما تطلع اليه ، فقد كان امله ان يقول الكلمة القصيرة الموجزة ، فاذا به يقول كلمة اخرى اشد عمقا من التعليق الصحفي السريع والملاحظات العابرة الهشة ، واذا به لا ينشر في صحف القاهرة وحدها بل ينشر في صحف تمتد من المغرب الى العراق ، وقد آثر ان يلقى القراء في صحفهم واوطانهم ، دون ان ينتظر منهم ان يبحثوا عنه في صحف القاهرة ، فقد توسعت آفاق فكرته وحاول ان يحمل رسالة كبرى ، ربما لم تكن في خاطره يوم جرب قلمه في كلمات قصيرة موجزة نشرها في البلاغ او في كوكب الشرق او في الوادي او في مجلة ابولو .

كان ذلك في الثلاثينيات . في عام ١٩٣٢ بالذات هذا العام الحاسم في حياة الادب العربي المصري الواضح الاثر والدلالة . حيث مات شوقي وحافظ والبكري ، وظهرت الرسالة وابولو ، وظهر البلاغ في حلته الجديدة وصفحته الادبية المشرقة التي حفلت بكتابات زكي مبارك وسلامة موسى وابراهيم المصري ومحمود الشرقاوي .

كان هذا العام حقا ، من الاعوام الفاصلة في حياة الادب والصحافة في مصر ، ومنه بدأت تحولات ضخمة ، كان حكم صدقي يضغط بعنف على الحريات فلم يلبث طه حسين ان تحول من السياسة الى كوكب الشرق ، ومن الاحرار الى الوفد ، واذا به يهب امارة الشعر الى العقاد ترضية لنفوذه في الوفد وصحفه ثم لا يلبث العقاد بعد عام واحد ان يتحول عن الوفد ويعارضه وتصدر جريدة روز اليوسف اليومية . وفي هذه المرحلة الدقيقة التي عشتها مفتوح العينين وما تزال صورتها تملأ خاطري ، بدأ هيكل في تحوله الخطير فكتب « حياة محمد » ونسي دعوته الى الفرعونية من قبل قليل ، وكتب طه هامش السيرة ، وحلت الرسالة محل السياسة الاسبوعية التي تحولت الى ملاحق ، فاعطت صورة جديدة وضمت كتابا جديدا واعلنت اسماء لمعت من بعد ، ووسعت مجالها فلم يعد مصر بل امتد الى الشام والعراق . وكانت « أبولو » حدثا من الاحداث ، مجلة الشعر ونقد الشعر ومعارك الصراع بين مدرسة ومدرسة . وفي ظل هذه الايام ظهر ديوان وحي الاربعين للعقاد فنقده الرافعي في البلاغ نقدا عنيفا ذكرنا بما قرأناه من سنوات قليلة في العصور من مقالات « على السفود » . وزكي مبارك كان يشدو كل مساء جمعة بمقاله « الحديث ذو شجون » فيربطنا اليه ، ويدفعنا لان نكتب له ، بعد ان ملأ اليأس النفوس من كتابات الى عبد القادر حمزة وهيكل وداود بركات وحافظ عوض . ويستجيب زكي مبارك في فلسفة فيقول « اقتل رغبتك في الادب قبل ان تقتلك » وينادي ابراهيم المصري « ارسل باسمي كل ما تود نشره في البلاغ » .

ويطيب لي ان اكتب عن « حافظ » فهو ابن بلدي ، ولد

على ضفاف نيل ديروط ، وما رأيت قناطرها الحلوة ، ولا مشيت فوقها الا ذكرته وذكرت والده المهندس الذي بناها، وهناك كنا نقرأ المنفلوطي ، جارنا ، فمنفلوط جارة ديروط ، ولنا به حب مرتبط بالقبلية ، وله موسيقى ووراء فاتن لم يشجعنا مثله من جيران ولا الريحاني ولا نعيمة ، فآلام فرتر حزينة موجعة تطلع على قلوب الشباب الحائر في سني اليفاعة وفي قلب الريف وقلقا يضيق فيه بالريف والغروب ويحلم بالقاهرة والليل والحب .

ومن عصارة من كتابات العقاد في الجهاد ، وطه حسين في الوادي وهيكل في السياسة ، وسلامة موسى في البلاغ والصاوي في ما قل ودل الاهرام تتكون عصارة حائرة مضطربة ، ويموت شوقي وحافظ فتكتب عشرات الابحاث حولهما ، وتدور في الجو الادبي ملامح وكلمات ورموز : تطور وثقافة وحضارة ، ويدور نقد غاضب جائر ، فيه عنف السياسة وألفاظها المريرة ، ومعارك جائرة يبدو فيها الخلاف الشخصي والذاتية، وتبدو روح المصرية والاقليمية الضيقة والفرعونية ، مضطربة بدعوات عن العروبة ووحدة الشرق ووحدة الاسلام ، وصيحات من الزهاوي الثائر ، ومن جبران الغامض المهوم ، ومن « مي » الحالمة ، ومن سحاب الرافعي الاحمر ، ومن هلال زيدان ومقتطف صروف في متاهة من المتاهات العاصفة بالفكر والعقل والقلب .

واذا بي اكتب ، في صحف الاقاليم دوما وفي صحف القاهرة لماما ، في خلال عشر سنوات او تزيد (١٩٣٢ — ١٩٤٥) وانظر اليوم في صحف الماضي فاجد حصيلة ضخمة ولكنها هشة ، وابحث عن الذين كانوا معنا في تلك الايام فلا اجد الا القليل . واجد اول مقال عام ١٩٣٣ (معول في الادب) واول كتاب ١٩٣٩ (عرائس البكارى) واول باب نصف عامود (جولات) في الوادي ١٩٣٥ ولا اصل الى العمل في الصحافة في القاهرة الا عام ١٩٤٦ حيث بدأت حياة الفكر والادب حقيقة ، واحاول ان ابحث عن نفسي في تلك السنوات من خلال الصحف فاذا انا مصارع بين صحف الوادي والانذار والافكار والقاهرة والاماني والصباح وأسيوط خلال تلك السنوات ما عدا ثلاث اعوام (١٩٣٧ — ١٩٣٩) وثلاث اعوام (١٩٤٣ — ١٩٤٥) اين انتاجي في هذه السنوات فلا اجد شيئا ، تراني كنت اخذت بنصيحة الدكتور زكي مبارك حين صرفني عن الادب فاعتزلت ، ام تراني لبست مسوح الصوفي ثمة وعشت مع الغزالي وابن تيميه والبخاري .

ولم يكن ذلك غريبا فقد بدأت حياتي الادبية قبل الصحافة والصحف بقراءة مقدمة ابن خلدون ودائرة معارف فريد وجدي ، فلا عجب ان ادور دورة كبرى تبدأ بابن خلدون وتنتهي بالغزالي وتحمل في بطنها عصارات الصحف والكتب من فلسفات ودعوات في مجال السياسة والاجتماع والتربية والدين والادب والثقافة .

ولكنها كلها قراءات سريعة ، فلا بد من تعمق وبلوغ الى القاع . لقد كان التطلع الى القاهرة في هذا السن الباكر يواجه باليأس ، فكان لا بد من القراءة والتأمل ، ولا بد من الاستعداد للغد المتوقع ، ومن هنا كانت العودة مرة اخرى من قراءات الصحف السريعة الخاطفة الى المجلدات . ولا بد من تعمق للفكر العربي الاسلامي ، في نفس الوقت الذي تقرأ فيه شكسبير وجوستاف لوبون ودانتي وجوته . والريف يفسح المجال للقراءة ، تحت شجرتي النبق والتوت فوق سطح منزلنا حيث تنطلق النظرة الى الحقول الخضراء لا يحدها الطرف فلا تلتقي الا بشريط السكة الحديد يحمل الصوت الحلو ، صوت القطار القادم من القاهرة يحمل البريد والصحف والوجوه الضاحكة المشرقة ...

ادهش اليوم حين اقرأ عام ١٩٤١ في جريدة الافكار بحثا في ثمان حلقات تحت عنوان « نزعات التفكير في مصر منذ نصف قرن » ، لم يكن سني يتجاوز اذ ذاك الرابعة والعشرين ، وانا اتناول قضايا الساعة اذ ذاك على نحو ربما رأيته اشد حماسا او سذاجة او ضحالة ، ولكنه على اي حال يكشف عن « النفس » يوم كانت منطلقة الى طريق خطير ، اين انا اليوم من هذا البحث ولو حاولته لقرأت له مئات المراجع واستنفذت في الوصول اليه شهورا ، فما اخوف الكاتب من جلال الكلمة بعد ان يجد من يستمع له اما في ذلك الوقت الباكر فقد كانت الجراة طابعا واضحا ، وكان الجري وراء المفاهيم الوافدة لا يرده الا احساس غامض قائم في اعماق النفس لما يتكشف بعد، هذا الاحساس هو استقلال الفكر وتكون الطابع الخاص ، وبروز الذاتية والنظرية والفكرة ، وهذه قد تكون بذرتها موجودة اساسا في كلمة «مذهب الرجل الديني المدني» وهي عبارة ساذجة تحاول ان تصور ما نسميه اليوم : « المدرسة الوسطى : مدرسة البناء على الاساس » .

وربما لم يكن طابع الفكر واضحا ، فهذا لم يبرز الا بعد الاربعين ، اما طابع العشرين فقد كان « الادب الوجداني » المرتبط بالحب والمرأة والفن مستمدا ما يسمى من الداخل الى الخارج في كل ما يتصل بالمشاعر والعواطف والاحاسيس الهشة الساذجة التي لم تصل بعد الى وضوح التجربة ، او استكمال الخبرة فهي تحاول امرا واحدا هو « تأكيد الشخصية » وتوسيع قاعدة الكتابة في مجال واسع ، لا حواجز فيه يجمع بين الصوفية الروحية والعاطفة الوجدانية فحيث يكتب القلم « ذخائر القرآن » يكتب حياة افروديت وحيث يكتب « نور من الله » يكتب « فلسفة الجمال » .

ثم هناك عشرات من الموضوعات : اعلام كالزهاوي وعمر بن الخيام ، وصيحات التحرر من قيود الريف ، ورسائل حب ، وذكريات الميلاد ، وخواطر سائبة ، ورسائل موجهة الى وديع ميخائيل موسى ومحمد محمود حمدان وعبدالمتعال الهريدي ومحمد زكي محمود وانور الصناديقي وزينب عبد الرحمن محمد رفقاء الصبا في مجال الادب .

ودراسات عن تيمور والعقاد وهيكل والمازني والسباعي، ثم معارك عنيفة متعسفة ، يبدو فيها تقليد لمنهج العقاد وزكي مبارك في النقد . واحاديث مع محمود حسين نقادي وروبرت بوليس وعيسى الترزي وحنفي غالي ومحمد محمد مالك، وحبيب نعمان رزق الله، هذا الكاتب الذي ما زلت اذكره

واذكر اسلوبه الحلو الرائع ، وقد كان يكتب للناس على مائدة صغيرة امام المحكمة « عرائض » الدعوى . وكنت اتوقع له ــ لو وجد مجالا ــ مستقبلا ادبيا رائعا .

وما زلت اذكر كيف كانت جريدة « الانذار » الاقليمية التي كتبت فيها عام ١٩٣٣ ممتازة ورائعة ، على البعد عن مجال الصدارة في القاهرة ، وقد كان صاحبها « صادق سلامة » من أوائل الصحفيين الذين اتصلت بهم واستفدت من خبرتهم وقد استكتب في صحيفته اعلام من كتاب القاهرة . واذكر انه قد نشر صورنا في عيد جريدته ١٩٣٤ وكانت معنا سنية زهير ولويس عوض ومحمد عثمان واحمد تاج الدين وفايد العمروسي وسيد قطب وعبد السلام الشريف واحمد الاحمداوي ومحمد محمود رضوان واحمد جلال ورمزي نظيم وزكي التهامي وعيسى متولي وتوفيق حبيب وكان اول مقال لي بها هو « ميزان التجديد والحضارة في مصر » في ١٩٣٣/١/٢٩ .

* * *

كانت كتاباتي في العقد الثاني مهومة عاطفية في اول امرها وجدانية كلها حديث عن الحب والحرمان والشوق الى القاهرة والتطلع الى المجد ، والى الصحافة . وكان لا بد ان انشر كتابا او كتابين ، لقد اضطررت ان اطبع كتابا في اسيوط على (ورق الارز) المعروف ولا ادري اليوم ماذا كان اسمه ولكنه كان في ظل ازمة الورق ابان الحرب العالمية اصرار وتأكيد للذات . فلما جرت في يدي النقود سارعت فطبعت كتابا عنوانه « الانسانية في الميزان » كان للاستاذ حمدان رفيق صباي والمقيم في القاهرة الفضل في اخراجه .

ولكن تهويماتي وعاطفياتي لم تلبث على المدى ان تحولت الى فكر وبحث وقد شملت كل الميادين التي طرقتها من بعد وحتى عام ١٩٤٦ وهو العام الذي وصلت فيه الى القاهرة وخلفت الريف وعملت بالصحافة على راس الثلاثين حيث كانت جذور فكري قد تكونت حقاً في كتابات منوعة: الادب الوجداني ، التراجم ، النقد الادبي ، دراسات الادباء ، دراسات العربية والفكر العربي والتاريخ الاسلامي ، قضايا القومية العربية والعالم الاسلامي . . .

* * *

تكونت البذرة في كتابات الريف تهويما حول كل موضوع ودراسة وقضية ولون ، ثم تحولت من بعد الى خطوط عامة ، وتكونت المفاهيم اساسا تحت كلمة « الرجل الديني المدني » ثم تطورت الى مذهب واضح الاصول والحدود .

ان الكاتب اذا احس بقلمه يجري ، جرى معه في كل طريق ، ولكنه لا يحدد ولا يتخصص الا بعد مرحلة طويلة ، ولكنه مع هذا التهويم والجري المنطلق يكوّن اساسا محددا من ناحية المفهوم ، ربما تضلله الدعوات التي تدق الطبول العالية ، كما ضللتنا حول القومية الضيقة والمصرية والفرعونية ، ولكنا لما نمضي في الطريق ، فقد كانت مفاهيمنا الاصيلة حول الفكر العربي الاسلامي ومقومات امتنا ، والايمان بالتراث واللغة والدين والتاريخ ، عاملا فعالا في ردنا عن المضي معهم ، وقد تحولوا هم من بعد ذلك ايضا ، واحسوا انهم جروا في غير ميدان اصيل ، وربما تكشف هذه اللمحات عن صورة النفس ، وهي تتحول عن ادب الوجدان الى ادب العقل : ٨ مارس ١٩٤٠ (جريدة القاهرة):

« كلما تهيأت الاذواق للكمال ، اقبلت على ادب الجد ، وكلما امعنت ازدادت اقبالا ، وعمدت الى الالوان العميقة ، واخذت منها بقوة ، وكلما تقهقرت الحضارات تقهقرت المعاني في نفوس الافراد ، وفي عقولهم ، فجنحت الى ادب اللهو ، ورغبت فيه رغبة التذوق والايثار والاعجاب ، ادب الجد يرفع النفوس الى رغبات السمو ويهيء الاذواق الى الاغتراف من معاني الوجود ، تذوقا صحيحا قائما على صدق النظرة وصحة الاعتقاد وقوة اليقين » .

ولكن الكاتب لا يلبث ان يعود الى احزانه ومشاعره : الريف والحرمان (١٨ أبريل ١٩٤٠) :

« ترى هل من الخير لنا ان نعيش في الريف ، بعد ان اساء الينا اذ حجبنا عن حقول الادب والفن والثقافة . وحال بيننا وبين التكون الروحي و لوجداني والعقلي الكامل الذي لا يتم الا في الحواضر . ان هذا النقص قد اثر مشاعرنا وتفكيرنا ووجداننا ، فتأخرنا عن النضوج من اثر ما في الريف من قيود ، هذه الحياة المحدودة تشعرنا دائما بالحرمان ، وتلقي في نفوسنا ظلا يائسا من الوحشة والالم .

أقضي ايامي فاترا عابسا ، وليالي ساهدا معذبا ، لا اشعر براحة لجنبي الى منام او لجفني الى نعاس ، احيانا تسبح روحي في اجواء ناعمة ، فاذا عاودها التشاؤم تلبدت بغيوم كثيفة تحجب النور .

كان يزعجني الربيع حين تتفتح الازهار ويشرق وجه السماء ، وحينما تحلو الطبيعة وتكتسي الدنيا ثوبا زاهيا ، فتؤوب النفس الى حزن غليظ ، لا يدع فسحة لرضى ولا بارقة لامل .

احاول ان استمتع بالطبيعة في الصباح الباكر ، زقزقة العصافير ، وتمايل الاشجار ، فلا تزداد روحي الا لوعة ، وتتوارى كأنها تنكر حقها من هذا النعيم ما دام لا يتحقق لها الامل الكبير .

أعيش بين الناس غريبا او كالغريب ، اترابي سعداء راضون ، يقتلون الوقت بالاحاديث ، وانا متمرد اعيش بفم باسم وقلب حزين ، لقد كان يزعجني مطلع الربيع . لطالما كنت انكفىء مبكرا الى فراشي ادفن احلامي واشواقي » .

* * *

هذه صورة النفس ، وهي تتطلع الى الادب والحياة . نفس الاديب نفس الكاتب . الذي يريد ان يحمل القلم ، هكذا كانت كتابات الريف تحمل البساطة والسذاجة ، مغلفة بالايمان والتطلع الى الحياة ، الى عالم الفكر الى اسرة القلم ، هذه الاسرة التي ضحك من اجلها زكي مبارك وقهقه وقال : انه لا يوجد في الدنيا شيء اسمه اسرة القلم ، كما لا يوجد شيء اسمه العنقاء . . .

القاهرة

انور الجندي

الادب المقارن اداة للتفاهم العالمي

بقلم بول فان تيجم
ترجمة عبد المطلب صالح

* * *

لقد ضم مؤتمر التاريخ الادبي العالمي في باريس علماء، ضمن وطن، قد اتوا بنظرات جديدة عن علاقات الادب مع الحركات السياسية والاجتماعية. وهدفهم كان، باختصار، ان يحققوا في ميادين متنوعة هذا التاريخ الادبي في روابطه مع السياسة الذي حلم « ميشليه » (٢) ان يكتبه منذ اكثر من مائة سنة لفرنسا القرن الرابع عشر.

ولكن من منا لم يلاحظ الى اية درجة ترتبط الظواهر الادبية المدروسة ضمن اطار وطن معين بتكلم الظواهر الحاصلة خارج حدود هذا الوطن؟ ان موضوع الادب المقارن هو بالضبط كشف هذه الروابط المتكونة بين كتاب بلدان مختلفة متجاوزة ما بينها من حدود.

لقد روى المأسوف عليه « بول هازار » (٣) ان البابا بيوس الحادي عشر استفهم منه ذات يوم عما يكونه الادب المقارن، وبعد ان سمع البابا منه الجواب قال له: اني ارى: « انه دراسة التأثيرات الادبية المتبادلة ». ومن كل عمل ادبي ذي قيمة تنشأ في الحقيقة اشكال جديدة من الفكر، وصيغ جديدة من الفن، في مجالها مثل الامواج المحملة بعيدا غير آبهة بتنوع المصطلحات وهذه الامواج يغير اتجاهها الشعور الخاص بكل وطن متسلم استنادا الى ان الكاتب الذي تبلغه هذه الامواج يشارك في هذا الشعور. وغالبا ما تنعكس هذه الامواج وتعود متغيرة قليلا او كثيرا الى البلد الذي بثها.

لقد بدا منذ زمن ان الآداب الوطنية قد تطورت منعزلة، يفصلها بعضها عن بعض اختلاف المصطلحات. وكان العنصر اللغوي يبدو في هذه الآداب جوهريا الى درجة اننا فكرنا طويلا بان التأثيرات الثابتة التي تأخذها من الخارج لا تمس الا بعض خصائصها الثانوية. اما اليوم فاننا نحكم غير ذلك، وكان لا بد لنا ان نرضى وقد استوردنا فلسفة من الخارج، صيغة من الشعور، موضوعا غريبا، نوعا غير مستعمل. انها الطبيعة الداخلية للشكل الادبي هي التي تغيرت، انه تقليد الاسلوب اللغوي الذي يبدو اكثر وطنية هو الذي تبدل. وهذه الآراء الجديدة التي هي الاسانيد الحقيقية لوسائلنا المقارنة قد سمحت بان تبرز، بالمثال، التضامن الثقافي الذي يوحد الشعوب.

ان عمل الادب المقارن يظهر ان الانسانية لم يحققها ضمن الزمن جهد مستمر لوطن معين بل الجهود المتعاقبة لعدة اوطان حيث يشع النور بالتناوب على الاخرين الذين يتسلمونه بشغف.

ان اساليب الادب المقارن تظهر بجلاء اكثر من غيرها المنعطفات التي يسلكها الفكر من اجل ان يتقدم، تنوع البلدان التي يخترقها، كل الآثار التي يخلفها عند عبوره كل بلد. وهذه الاساليب الضرورية لتفسير الغموض في التيارات الادبية تمتلك ايضا قيمة انسانية خاصة.

اننا نعرف ماذا كانت انسانية القرنين الخامس عشر والسادس عشر، اما دراسات الادب المقارن فانها تؤدي الى انسانية جديدة، انسانية اكثر اتساعا واكثر خصبا من الاولى، قادرة اكثر على التقريب بين الاوطان. وفي الحق، كلما تقدم مفهوم الوطنية ظهر عظيماً خطر اعتماد الامة على مواردها الثقافية، لقد انتقلت الاختلافات بين الشعوب من الاخلاق الى الفكر. ان اساليبنا تعمل بنجاح ضد هذه العزلة الخطرة لتوحيد العالم بصورة سلمية.

ان عمل الادب المقارن يظهر ان الانسانية لم يحققها ضمن النزعات العامة للفكر الانساني التي من دونها لا يمكن لاي تأثير ان يحصل. ولكن هذه الاساليب تحدد ايضا الاختلافات بين عدة عبقريات وطنية. « ويجب ان لا تكون هذه الاختلافات الصغيرة ـ كما يقول فولتير ـ امارات على الحقد والاضطهاد ».

وليس بكاف ان نرتاح الى هذه المفارقات تماما، بل يجب ان نظهرها مع « مونتسكيو » كمرونة ضرورية لحياة الانسانية المنسجمة. وهكذا فان الادب المقارن يملي على اولئك الذين يطبقونه موقفا وديا وتفاهما ازاء اخواننا في

---

(١) بول فان تيجم استاذ من اساتذة الادب المقارن في باريس يحاضر في السوربون وله عدة مؤلفات في هذا الفرع منها: الادب المقارن، التاريخ الادبي لاوروبا وامريكا، والمذهب الرومانتيكي في الادب الاوروبي. (٢) ميشليه: مؤرخ فرنسي ولد في باريس (١٧٩٨ ـ ١٨٧٤)، ذو افكار حرة وقد توصل في كتابه، تاريخ فرنسا، ان يحقق احياء تاما للماضي. (٣) بول هازار: استاذ فرنسي واحد مؤسسي المدرسة المقارنة الحديثة وقد اشترك في تأسيس مجلة الادب المقارن عام ١٩٢٢ ومن كتبه: ازمة الضمير الاوروبي في القرن الثامن عشر، والفكر الاوروبي في القرن الثامن عشر في ثلاثة اجزاء. ودراسة مستفيضة عن دون كيشوت قصة الكاتب الاسباني المشهور: سرفانتس. (٤) الفرد ده فني: كاتب وشاعر فرنسي رومانتيكي. ولد في لوش (١٧٩٧ ـ ١٨٦٣)، له مؤلفات غنائية منها: قصائد قديمة وحديثة (١٨٢٦) والمصائر (١٨٦٤) كما ان له قصصا منها: ستيلو (١٨٣٢). (٥) جوته: اشهر الكتاب الالمان ولد في فرانكفورت (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢)، وكان صديقا لشارل اوغست دوق فايمار. ومن مؤلفاته فاوست وهرمان ودروتيه، وآلام فرتر، والانساب المختارة والديوان الشرقي للمؤلف الغربي الذي يظهر ان عبقريته عالمية. فقد تاثر بالادب الشرقي، العربي والفارسي، واثر بدوره بالادباء الرومانتيكيين الفرنسيين والانجليز. (٦) جان بيير اكرمان: اديب الماني، ولد في وينسن (هانوفر) في عام ١٧٩٢، وكان قد نشر وثائق من الشعر (١٨٢٣) عندما سار الى فيمار، حيث اصبح سكرتيرا وصديقا لجوته. ان مجده الادبي الرئيس نهض على كتابه المعنون: حديث مع جوته في اعوام (١٨٣٦ ـ ١٨٤٨) الذي تضمن وثائق ثمينة عن الفترة الاخيرة لحياة الكاتب الكبير.

فوضى الحرير

اهلي . صباح الخير يا اهلي . انا
الدرب..ما للدرب ؟ لا خبر ... ألا
عربات احلام تجر ؟ واعين
الشام ارض الخضر .. بي شوق الى ..
اهلي . صباح الخير يا اهلي . أنا
احيا على التاريخ انشره غدا
الحلم يعرى .. لا ارى .. الحلم يا ..
طال الغياب . أتحملون موانئا
النقش في الحفر القديمة، والربى
ومسافرات، في الطريق، الي .. في
وأنا ، غدا .. ويلفني شعري الانا

ما لي اصورها جنازة امتي

قلق الربيع بأكؤس الزهرات !
يدري العرار الحلو في لهفاتي ؟
ضمت على خفر من الخيبات ؟
يا خضر تعلم منتهى صلواتي !!
لكأنني شردت في قطراتي
قصص الفتوح .. وأين يا حسراتي؟
واصيح : بحر في خفي رفاتي ؟
أم تحملون غموض حلم آت ؟
محفورة في أعيني النضرات
عرى النحاس ... عيونها يقظاتي
لم يلو أجنحة الاباء لعات !

في لحظة من اقدس اللحظات ؟

حلب

علي الزيبق

البشرية ، حرية ثقافية من دونها لا يمكن ان ينشأ اي عمل بين الشعوب .

وهذا التفاهم خاصة هو ضروري جدا ومفيد للاوطان الناشئة التي وصلت مؤخراً الى مرحلة راقية من الحضارة الثقافية ، ولكنها غالبا ما تفتقر الى تقاليد ادبية ، فعليها ان تستعير كثيرا ، وهذه الاستعارات لم تلغ قط اصالتها ، بل انها على العكس امدتها بوسيلة للتعبير قوية جدا ومن اجل ان تبلغ جوهرها الثقافي والاخلاقي الى جمهور اكثر اتساعا . ومن هنا تجيء اهمية التأثيرات لمن يدرس ادب هذه الامم . وهكذا فعندما نضع على المستوى نفسه بفضولنا وعاطفتنا الآداب القديمة والغنية والآداب الناشئة فان اساليبنا تحقق حسب بيت « الفرد ده فنيي » (٤) الرائع : « المساواة المقدسة لافكار الرب » .

وهكذا فان صورة هذا الادب العالمي تبدأ متجاوزة الحدود اللغوية وحدود الفرد نفسها هذا الادب الذي صار « جوته » (٥) له في شيخوخته نبياً . ان « جوته » نفسه يزكي اساليبنا بالنزوة التي ينقلها « اكرمان » (٦) . ففي اثناء ما كان « أكرمان » يهنيء « جوته » بمناسبة طبعة جديدة لآثاره الكاملة ، فان كاهن فايمار يتأمل النضد الضخم من الاجزاء الجديدة ، فيشير اليه بانه توجد هناك مقادير من الايحاءات اليونانية او الانجليزية ، الايطالية او الفرنسية ثم يضيف : « أن الجميع موقع بتوقيع « جوته » . وهذا ما كان يذكرنا بان العبقرية تتألف قبل كل شيء من صهر العناصر الاولى في وحدة الفكر التي منها ما يكون خارجا على بلد المؤلف والتي لا يمكننا من فهمها من دون ان نظهر بجلاء كل ما غذاه وكل ما كونه .

وقل من العلماء من يجهل هذه الضرورة في الغاء الحدود اللغوية لتلحق بالانسانية في تطورها ، والعبقرية في نشوئها ، والحضارة في تأثيراتها المتبادلة ، والآداب في وحدتها وتنوعها الحقيقي .

ونحن نريد في فرنسا اكثر من ذلك . نحن نريد بان الطالب في الصفوف الثانوية يلاحظ شيئا ما من التنوع اللانهائي للادب العالمي متجنبا دراسة الادب الوطني والآداب القديمة وحدها حتى ولو اعتمد على لغة او لغتين اجنبيتين . لقد ارتفع صوت في مؤتمر تربوي حديث موصيا المدرسين الشباب بان ينتفعوا من كل الفرص التي يقدمها صف اللغة الفرنسية من اجل ان يفتحوا عيني الطالب على الآداب الاجنبية التي استمد منها ادبنا . ويبدو في الواقع ان التلميذ عندما لا يؤله ادبه ــ كما يقول بيكون ــ بل يحترم الآداب الاخرى فانه يكون مهيئا لكي يصبح « مواطنا عالميا » .

وبمعرفة هذه التأثيرات ومعرفة نصوص هذه العناصر الاولى وهذا التبادل الرائع يكون الانسان المثقف قد تمثل عالم الادب شيئاً فشيئا في وحدته الجوهرية ، والانسان في تنوعه . وعندما يدرس هذه المختارات الحرة التي هي الشروط لوحدة الادب العالمي ، فانه سيقتنع بان وحدة العالم السياسية لا يمكن ان تكون الا اتفاقا غير ثابت على الدوام ، ولكنه حي ابدا ، بين مزاج الامم الفردي ومعطيات الفكر الانساني العامة .

بغداد

عبد المطلب صالح

قصة

الام سيطول الليل

بقلم سهيلة داود سلمان

بالرغم من هواء الليلة اللافح ، ففراشي يكاد يكون كالصقيع.. باردا وصلبا . الليل واجم .. واتساعه هائل .. وانا لا اجد لي فيه ساعة من الزمن اغمض فيها جفني .. ابعدت الغطاء جانبا ، ونهضت متراخية نحو المنضدة ... وانقضضت على ساعتها .. رفعتها بقبضتي اتطلع الى وجهها .. عقاربها تتحداني وهي تشير الى الثالثة بعد منتصف الليل .. خيل الي وانا اتطلع اليها ان وجها قاسيا يسخر مني .. أغمضت عيني باحدى يدي وسحبت بالاخرى احد الجوارير .. سأخرس صوتها .. ودفنتها تحت كومة من الملابس ، واغلقت باحكام ... حجمها لا يتجاوز قبضة اليد ولكن دقات قلبها أقسى من الليل .. ربما سأستطيع النوم ، لولا تلك الضفدعة .. نقيقها يعلو ويعلو ، رغم اني اغلقت النوافذ كلها .. ليس الذنب ذنبها ، ولكن مدينة تحترم نفسها لا يمكن ان تدع بقايا امطار الشتاء تكون بركا .. مأوى للضفادع والبعوض .. لو كنت في قرية تعيش على الفطرة لاعتدت كل هذه الاصوات .. ولكني والمرارة تعتصر قلبي ، اعيش في بغداد .. مهد الحضارات . قرات مرة ان اناث الضفادع وحدها هي التي تحدث النقيق تنادي به ذكورها .. ترى ماذا تحس تلك الضفدعة وهي تصرخ بهذا الشكل المرعب ..!! من يدري فقد يكون للضفادع قلوب تنبض بالحب كقلوب سائر البشر .. ولم لم يوافها طيلة هذه المدة ..؟ لعل طفلا رماه بحجر خلال النهار فارداه قتيلا .. او قد يكون الآن مطروحا في احد المختبرات المدرسية وقد غرزوا دبوسا في مخه ...! اثرت اشفاقي ايتها الضفدعة المسكينة ولكن .. لا بأس عليك فالضفادع حولك كثيرة وبامكانك الاختيار .. ام ترى جمعتني واياك جيرة وكلانا في المصيبة واحد ..!! ارعوي يا رفيقتي .. فانا مثلك اصرخ .. ولكن صراخي لا يسمعه سوى الليل ... وتتراقص الكلمات امامي .. وتوخز احرفها عيني .. « اريد لقياك يا سهاد .. الحاجة اليك تلح علي .. ام انك اخرست الحنين منذ ذلك اللقاء ..! » . لقاء الاحبة يا « نبيل » ليس اداة يطفأ بها لهيب الحنين .. بل هو الوسيلة لشعور كل منهما انه اصبح ملكا للاخر .. فهل سمعت عمرك وصلا ابعد حبيبين ..؟ واسرع مع اللقاء ... امسية لا اعرف كيف جرى موعدها .. ظلام يجمعني واياك لاول مرة .. الشارع مقفر .. خيل الي ان العالم اقفر حولي .. انا لا اسمع غير دقات قلبي .. انا خائفة .. واخيرا .. مررت بالتجربة .. انا اخاف التجربة

.. منذ ان اقتحمت كياني وانا اخافك .. لعلك تذكر يا نبيل مثل ذلك .. كان يوما وجدت فيه نفسي معك منفردة .. صدفة .. او خيل الي ذلك .. وفي وضح النهار .. تجمدت دمائي .. وتلفت حولي وجلة افتش عن انسان يمر قد يشعرني مروره بان العالم لا يزال حيا حولي .. واذا بي ارى كلبا يهرول نحونا .. مجرد كلب .. اعاد لي هدوئي .. وعندها بدات ابادلك الحديث باطمئنان .. انا لم اخلق يا نبيل لمثل هذه الحياة .. اطمع في شيء أكثر من هذا .. اطمع في ان التقيك تحت الشمس .. في وضح النهار .. في مقهى صغيرة مثلا .. نسحق معا ساعة من الزمن بلا خوف .. نرتشف قهوتنا .. ونتحدث احاديثا شيقة .. تلفني ابتسامتك .. وأغرق في حلكة عينيك .. لا .. بل اطمع في شيء اكثر من هذا .. في ان يجمعنا سقف واحد .. كوخ بسيط واحد .. اغمض عيني على احاديثك .. وافتحهما فتصطدمان بوجهك .. اطمع في ان اراقبك صباحا وانت تحلق ذقنك .. ابغي معرفة الطريقة التي تغسل بها وجهك .. اتحرق شوقا لان تبدي رأيا في طبق اضعه لك .. ما جدوى لقائنا يا نبيل ولقاؤنا لا هدف له سوى ان نغرق انفسنا في عذاب لا نهاية له ..؟ واستعيد لقاءنا .. كل خططي ذهبت ادراج الرياح .. يداك تمساني .. ها هي تجذبني نحوك .. يغرقني حنانهما .. تحرق وجهي انفاسك.. كل خططي ذهبت ادراج الرياح .. لا أستطيع .. لن استطيع .. لن اقاوم عناقا قضيت عمري احلم به .. ولم اقاوم ما دامت لن تمسني شفة اخرى .. واسمعك تهمس : «حققت املا » وانتفضت .. ليتك لم تقلها.. شعرت انك ايضا ككل الرجال .. قل انك لست منهم .. من اصطفيه لنفسي ليس كرجال الدنيا .. قل شيئا اخر .. اهذا هو كل ما في جعبتك ؟؟

سأختنق قبل ان يأتي الصباح .. الصباح .. اين هو هذا الصباح .. يبدو ان ليلي قيام الساعة موعده..! ليتني خلقت براس غبي ، اذن لكنت الآن كالاخريات .. ارفل بالسعادة.. كعائدة مثلا .. التقيتها هذا الصباح اثناء تجوالي في السوق .. صاحبتني مسافة خلتها دهرا .. هذه الصديقة كم كانت تلذ لي صحبتها من قبل ..! وبلا مقدمات بادرتني : « هاني » يعبدك لماذا تصرين على الرفض ..؟ اشحت بوجهي عنها .. اشعر بوخز الضمير حين يتحدثون معي عن رجل آخر .. وغيرت مجرى الحديث .. كلماتها تطفو فوق صوتي : ماذا دهاك

.. اصحيح انت من كنا نأخذ النصح منها .. علام هذا الاغراق .. انظري حولك الرجال يملأون الدنيا كذباب الصيف .. ستنسينه يا سهاد .. ثقي بقولي مع هاني ستسعدين .. لقد طلب الي ان ...! وقاطعتها : ليتك تعيرينني بعضا من القابليات التي تمتلكينها يا عزيزتي كي يكون بامكاني ان اسير في نفس الدرب الذي سرت فيه .. اما انا فقد سرت في طريق طويلة ، طويلة افتش عن نفسي .. حتى عثرت عليها .. وبكثير من اليسر تطلبين الي ان اوافيك جوابا يرضيك ...! ونبيل ..؟ ماذا اصنع بحبه .. هل اضعه فوق احد رفوف مطبخك الانيق ..؟ انه قدري .. والشاطيء الجميل الذي ترتاح فيه نفسي .. وسمرت عيني في وجهها باصرار .. رايت مسحة من الحزن تمر في عينيها وقالت : انك ان استوجب عليك ابتلاع جرعة مرة، فما عليك الا ان تغمضي عينيك وتستعيدي طعم العسل ..! فانك لست اول من تمرين في المشكلة .. والسنون تمر .. فما دام لا رجاء هناك ..؟ فليكن .. فليعلم الجفاف كل سنواتي .. انا لا ارتجي شيئا ...!

المرة العشرون .. ربما .. نهضت اسوي الوسادة .. واجهتني المرآة .. خطوت نحوها .. لاحت لي حزمة صغيرة بلون الفضة .. تطلّعت فيها مليا وسويتها بكثير من الحنان وابتسمت .. عاودني في نفس اللحظة بيت من قصيدة شعبية فوجدتني اردده تلقائيا :

والزلف هجرك فضضته

ورد فضضته وماش رجه

ما ارقك يا شاعري .. في قلوب العاشقات من النساء لك جولات .. فكأنك تتحسس نبضاتها .. ترى ماذا ستقول عن نفسك لو احببت ..؟ لا امل في النوم .. صراخ جارتي .. رفيقة الليل اصبح كالنحيب .. يقتلع احساسي كله .. ما اقسى ان يأرق الانسان وسط مظاهر من السكون المطبق .. ليت عرس جيراننا لم ينته .. ففي الاسبوع الذي فات كنت اقتل الارق باصوات طبولهم وغنائهم .. جيراننا اصحاب الصريفات الثلاث المتلاصقة .. سبع ليال طوال دامت افراحهم .. وقد خيل الي أن ما يقام اكثر من عرس .. حتى نزلت ذات ليلة .. رايت بعض النسوة جالسات في الفضاء حول قدر كبير يعدون شيئا ما ، قد يكون طعاما .. سألتهن عن عدد الاعراس التي تقام عندهم .. ضحكن مني ، وقالت احداهن : بقيت ليلتان وتختتم السبعة ... وقبلت دعوتهم لرؤية العروس .. انحنيت وانا الج ما يسمى بابا .. وبكثير من الدهشة رايتها .. كانت تجلس فوق سرير من المعدن الاصفر برقع كله بغلالة من الثل الابيض .. طفلة ربما تعدت العاشرة .. لعبة مدججة .. كأن طفلا عبث بوجهها فصبغه بشتى الالوان .. نظرت الي خجلة .. ثم اخفضت طرفها .. رايت نظرات الم لا تزال تئن منه .. وفي تلك اللحظة بالذات تذكرت قصة حكتها لي يوما جدتي ، قالت : كنت صغيرة جدا زففت مع سرب من القوارب النهرية عبرت بي دجلة من ضفة لاخرى .. كنت ازاء المظاهر كلها حيرى لا ادري ماذا سيحل بي وانا لم ار في حياتي الرجل الذي قيل لي انني ساصبح امرأته ... وادخلوني عليها تحت وابل من الزغاريد ممزوجة بالاطلاقات النارية ... والرهبة تهز جسدها الصغير رأته لاول مرة .. عابسا مقطبا .. يتقطر هيبة .. القى عليها نظرة .. ما عرفت الى ان ماتت، هل كانت تحمل استحسانا للوجه الذي رآه لاول مرة ان كان يطابق الشروط التي املاها على امه ، ام انها تحمل خيبة الامل ..؟؟ وصعقت وهي ترى شيئا يخطف لامعا فوق رأسها .. يبدو انهم نسوا ان يقولوا لها ان العادة قد جرت ان يستل الرجل سيفه في وجه عروسه حين يدخل عليها اول مرة .. وكانت تحمل في جعبتها افكارا مبعثرة التقطتها من هنا وهناك .. عن ليلة العرس .. وعن الدماء التي تسيل .. فظنت جدتي انها ستقضي بسيفه .. فارتعدت .. وصرخت .. وانقضت على قدميه تستجدي رحمة .. ثم نهضت لتجد مهربا فتعثرت باذيالها .. وسقطت .. ولم تدرك بعد ذلك شيئا مما حدث لها ... كنت واقفة هناك مسمرة امام السرير المكلل .. انظر من خلاله الى لعبة كسيرة الجناح .. عبث بها طفل فلونها عدة الوان .. انها جدتي بلا شك .. احسست عاطفة تشدني نحوها .. وكدت اتقدم منها اجرها من يدها الصغيرة المخضبة .. والملم ضفائرها المفضضة .. وامسح عن جبينها الذلة .. واستصرخها .. أن انهضي ... لولا يد خشنة تهزني، وصوت عجوز يتساءل : كيف رأيت عروستنا يا عيني ..؟ ربت يدها مطمئنة وقلت : فليهنأ ابنك انها لم تكن احسن منها منذ سبعين عاما .. وقفلت راجعة .. سمعت ضحكات حلقي تلاشت مع دقات الطبول .. الهاني عرسهم سبع ليال طوال فما شعرت بالوحدة ... « هل تنام الآن يا نبيل ...؟ » واستعيد اللقاء .. دنيا باكملها بين ذراعيك .. دهر من السعادة في عناقك .. دفء شتاء كامل في شفتيك .. وتتقطع القبلات .. همسات عتب تتخللها : « الاتملكين خطواتك ..؟؟.. جبانة .. حبيبتي جبانة ..! » وانتفض .. انك تصفعني يا نبيل .. كلماتك تدفعني الى الجنون .. نبيل .. يا اعز الناس .. حين تلقى فتاة ضعيفة اقسى انواع التعذيب .. وهي صامدة .. ايسمون ذلك جبنا ..؟ اليست شجاعة يا نبيل ان اساير تقاليد امقتها، حافظت عليها الاجيال ..! ان ابى عن طعن شيخ يعيش اواخر ايامه بامان .. ايسمون ذلك جبنا .. شيخ عاش عمره معمما ، والناس في نظره صنفان .. فان تقدم لاحدى بناته رجل .. يسأل قبل كل شيء أن كان يصلي معقوف اليد ام مسبلها .. فكيف

عودة المغتربين

خفف لظاك بحق الود يا آب ... فاهلنا من وراء البحر قد آبوا
عاشوا على أمل اللقيا تداعبهم ... ذكرى حبيب على آهاتها ذابوا
ان هبت الريح قالوا : نسمة بعثت ... بها الينا من الاوطان احباب
او نور القمر الفضي مبتسما ... وضوؤه في رحاب الكون ينساب
حنو لرؤية عاصينا وقد جمعت ... حيال شاطيه خلان وأتراب
وان تغن بموال أخو طرب ... تحدرت دمعة واهتز اصحاب
وان تراءت لهم ايام صبوتهم ... تسمرت برؤى الاحلام اهداب

تلك المغاني رعت آمالهم زمنا ... حتى اذا اغتربوا.. والدهر دولاب
تلفت القلب يبكي .. لا قرار له ... وكيف يقوى على الهجران وثاب ؟
واليوم عادوا ..وقد عادت مجالسهم ... فالكون أغنية نشوى وترحاب

بني العروبة كم شدتم لنا وطنا ... فوق النجوم.. له الجوزاء أطناب
أيان سرتم عيون الله تحرسكم ... وكم تفتح للامجاد ابواب
هذي بلادكم فرحى برؤيتكم ... حديثها المسك والانسام اطياب
لو تنطق الدار غنتكم حجارتها ... وقبلت شفة الاحباب اكواب
في كل بيت لكم قلب وافئدة ... وكل ذكرى من الاوراد جلباب
ان مثلت هذه الدنيا فملعبكم ... تلك البسيطة والاوطان محراب
فهي الملاذ لجرح القلب تلأمه ... وهي الرجاء لمن اضنته اوصاب
ان شتتت الشمل اسباب تباعدنا ... فاليوم زالت من الاوطان اسباب

حمص — عبدو مسوح

اذا اقترنت احداهن برجل من غير هذا او ذاك .. انها عقلية مهمااطلقنا عليها ، فنحن نتوارثها دون ان يكون لنا ذنب فيها ..! يا نبيل .. يا اعز من في الدنيا .. كف عن ايلامي .. هل يصلك صراخي .. يا نبيل ..؟ اكاد انسى يا نبيل .. كيف ينام المرء في الليل .. سأجن حتما .. يا اله السموات .. يا ربي .. امنح نفسي السلام .. وقلبي الرضا .. جد علي بساعة من دهرك الطويل الامد .. ساعة واحدة .. يا اله السموات ويا رب الاديان كلها .. وخالق النبيين .. اتبخل علي بساعة فقط .. سأتلوك ما شئت من الدعوات .. وبأي لغة تشاء .. سأتلو « الآيات » ، فانا احفظ القرآن كله .. وان شئت « فابانا الذي في السموات » .. لا بل سأتلو ايضا من « سفر التكوين » الشيء الكثير .. ولم لا ..؟؟ اليست جميعها كلماتك ..! الم يكن اصحابها رسلا لك ارسلتهم لنشر المحبة .. وجمع القلوب.. لا للتفرقة والبغضاء .. فيا رب الانبياء جميعا اغفر لهم ذنوبهم ، ما داموا لا يفهمون من الدنيا شيئا ... ليتني لم ار الدنيا .. ولم تعرفني .. بت لا ارى جدوى من الوجود كله .. لا شيء اطلاقا ،نعيش حياتنا دون هدف في انتظار ان يتلقفنا الموت ..!

شيء ما يجثم فوق صدري .. كأن اطنانا من الجمر صبت في جوفي .. سأنزل لاشرب شيئاً .. ليتني اجد شيئا من الكوكا كولا في البراد ... حالي مع الكوكا كولا كحال المرء مع حبه الاول .. اكاد اتعلق باي مشروب طاريء .. حتى اذا ما اجتاحتني لحظات عطش شديد اتلهف شوقا الى شربها .. لم اجد شيئا غير الماء .. ابتلعت قدحين .. خير لي أن لا اعود الى فراشي .. سافتح المذياع .. القاهرة لا تزال تبث برامجها ... صوت نسائي باك : « فين مالي .. دارت بي الارض وساء حالي ؟؟ » .. انها مسرحية شوقي تنقل من احد المسارح .. تناولت سيكارة .. اشعلتها ، ورميت جسدي المتعب على احد المقاعد اواكب الاستماع ..!

بغداد — سهيلة داود سلمان



حارث طه الراوي

الشاعر نسيب عريضة

بقلم حارث طه الراوي
امين مكتبة المجمع العلمي العراقي

* * *

لمحة عن حياته

ولد نسيب اسعد عريضة (١ و ٢) في مدينة «حمص» خلال شهر آب سنة ١٨٨٧ وفي مستهل صباه ادخل في المدرسة الروسية المجانية في « حمص » وتدرج في صفوفها بتفوق يبشر بالخير ، وكوفيء على تفوقه بارساله سنة ١٩٠٠ الى « دار المعلمين الروسية » في الناصرة بفلسطين ، فتابع دراسته هناك وتعرف على زميله في الدراسة وزميله في « الرابطة القلمية » ، فيما بعد ، ميخائيل نعيمة . وبعد اربع سنوات انفقها عريضة متفوقا، انتدب لاكمال دراسته العالية في روسية ، ولكن ظروف الحرب الروسية اليابانية آنذاك حالت دون ذلك ، فاضطر نسيب الى ان يقضي سنة اخرى في مدينة الناصرة وفي نهايتها سافر الى نيويورك سنة ١٩٠٥ مزودا باصول اللغتين العربية والروسية ، وواصل تتبعه للادب العربي واخباره ، في بلاد الغربة ، وكان كثير التردد على مكتبة نيويورك العمومية يقرا امهات كتب الادب العربي وبعض كتب الادب الروسي ، فازدادت ثروته الثقافية ودعاه اصحابه : «دائرة المعارف » ...

ولجأ في مدينة الدولار الى المتاجر والمصانع يلتمس فيها الرزق الحلال ، واستهواه الادب فاسس سنة ١٩١٢مطبعة « الاتلنتيك » واصدر مجلة « الفنون » التي حملت لواء التجديد في الادب العربي ... وكان من كتاب «الفنون» في فجر حياتها «جبران خليل جبران» و «امين الريحاني» وكتب فيها «ميخائيل نعيمة» سنة ١٩١٣ وكان اول مقال له في « الفنون » عن كتاب جبران «الاجنحة المتكسرة» الذي نشر تحت عنوان « فجر الامل بعد ليل اليأس » . وكان نسيب عريضة يشجع اصدقاءه من الادباء الناشئين فقد بعث رسالة الى صديقه « ميخائيل نعيمة » على اثر نشر مقاله « فجر الامل ... » قال فيها : (٣)

« ان ما كتبته يا صديقي في مقالتك عن « الاجنحة المتكسرة » لجميل وصحيح . قد اعجبتني طريقتك جدا ورأيت من نسقك ما جعلني اشدد الامل بان اراك في مصاف كتابنا الناشئين لهذا العصر الجديد الذي هو بدء حياة ذهبية لآدابنا الشرقية المنحطة . ولذلك ارجو ان تواظب على الكتابة . واقترح عليك ان تطالع كل كتابنا من اليازجي الى الان وتكتب لنا فصلا عن كل منهم ليعلم القوم انهم لم يحصلوا الا على القشور من كل ما مروا عليه من ادب المدح والهجو وصف الكلام الفارغ الثقيل . وعسى ان تكون لنا مثل بيلينسكي عند الروسيين وسانت بيف عند الفرنسيين » .

الا ان حماس «نسيب عريضة» واخوانه للتجديد ترك فيهم نوعا من الاعتداد غير المستحب ، فقد خيل اليهم انهم وحدهم سدنة التجديد وعماده وان الزعامة لهم وحدهم في هذا المجال ... فبالرغم من ان « مصطفى لطفي المنفلوطي » كان قد خرج في كتابه « النظرات » خروجا معقولا مقبولا عما الفه كتاب تلك الفترة من السجع المتكلف الفارغ والمواضيع السطحية التافهة ، الا انه لم يصادف هوى في نفوس المهجريين ولا سيما في نفس نسيب عريضة ، فقد اهدى المنفلوطي نسخة من كتابه «النظرات» الى نسيب عريضة سنة ١٩١٤ وطلب منه ان يبدي رأيه فيه في مجلته « الفنون » فحول عريضة كتاب «النظرات» الى صديقه « ميخائيل نعيمة » وارسل اليه رسالة مؤرخة ١٥ ايار سنة ١٩١٤ ورد فيها الطلب الغريب التالي :

« قد كان المنفلوطي سألني ابداء راي في نظراته فحولتها اليك . فاذا ساعدتك اوقاتك فاكتب واشفغليلي من هؤلاء « الكتبة » » .

وقد علقت على هذا الاستخفاف الذي ابداه عريضة تجاه المنفلوطي في مقالي «مصطفى لطفي المنفلوطي» المنشور في مجلة « الثقافة » (٤) القاهرية ، بقولي :

«... وبالرغم من اناسلوب «المنفلوطي» في «النظرات» من الاساليب المستساغة التي تتوخى السهولة والتجديد وتنفر من الصنعة والتعقيد ، وبالرغم من ان مجمل آرائه انسانية بحتة تدعو الى الخير والحق والجمال وتهدف الى المحبة والاخاء وتنسجم مع ما يدعو اليه المجددون من

ادبائنا المعاصرين لا سيما ادباء الرابطة القلمية في المهجر ، الا أن الدوافع الاقليمية والطائفية كانت عند بعض هؤلاء اقوى من التسليم بهذه الحقيقة . من ذلك موقف الشاعر المهجري نسيب عريضة من « نظرات » المنفلوطي ... » . وبعد ان استشهدت بغمز عريضة للمنفلوطي الآنف الذكر قلت : « وان اعجب فعجبي من شاعر انساني رقيق ذي قلب كبير مثل نسيب عريضة يريد ان « يشفي غليله » من انسان طيب واديب رقيق كالمنفلوطي ، ثم يسخر سخرية ليست في محلها على الاطلاق عندما يغمز بقوله : « هؤلاء الكتبة » . قاتل الله التعصب ، فقد يكون ، احيانا ، اقوى من كل قوى الخير في الانسان ... » .

وتعاونت ظروف الحرب العالمية الاولى مع افلاس نسيب على احتجاب مجلته « الفنون » التي كانت نفقاتها تفوق دخلها بكثير « وباحتجاب المجلة توقفت المطبعة عن العمل . فكانت الخسارة جسيمة على قلب نسيب وجيبه معا . وكان وقعها عليه وقع الصاعقة . وعلى الاخص لان المال الذي دفنه في مشروعه لم يكن ماله ، بل كان ابوه هو الذي امده به من حمص » (٥)

وبعد يأس مرير ارسل الفرج اليه صديقه « راغب » الذي يسر له المعونة المادية اللازمة ، فاصدرها نسيب عام ١٩١٦ وكتب الى صديقه ميخائيل نعيمة رسالة (٦) بتاريخ ٥ نيسان ١٩١٦ يبشره بعودة الفنون ويطلب منه المساهمة في تحريرها :

« عزيزي ميخائيل — لم اتمكن من الكتابة اليك لانشغالي كل هذا الاسبوع باعداد لوازم الفنون . وقد كلفت الاخ راغب لينبئك بهذا الخبر . وقد فعل . فعسى ان تكون رسالته قد وصلتك وقاسمتني الفرح . ان المجلة لولا مساعدة راغب المادية ما كانت لتنبعث من الاموات . واني واثق من نجاحها هذه المرة لاسباب عديدة ... واهمها استعداد الناس لقبولها هذه المرة ، الامر الذي شعرت به وشعر به كل مراقب ... وقد حسبنا مصاريف المجلة بارة بارة فلم تزد على المائتي ريال في الشهر . وراغب مستعد أن يقدم في الحال نحو الفي ريال . ويظن ان الخمسة الباقية سيوجدها من الان الى آخر السنة ...

الان شعرت بتغيير عظيم في حياتي وصرت احيا واحب الحياة . وقد نفضت غبار خمولي وسآمتي . فساعدني الآن يا اخي بما تستطيع واعلم بانك تبني معي ولست انا الباني وحدي . فلنتعاون لعلنا نبني شيئا جديدا في تاريخ الآداب ولعل صوتنا هذه المرة لا يخفت كالمرة السابقة .

سأستعمل مقالتك « الشعر والشعراء » القديمة للعدد الاول . هذا اذا لم ترسل شيئا جديدا ... وعليك اطيب السلام — اخوك : نسيب » .

وتوقفت مجلة الفنون عن الصدور بصورة نهائية قبل ان تكمل العامين ، وشرع نسيب بعد ذلك يحرر في اشهر الجرائد العربية في المهاجر آنذاك « كالسائح » و « مرآة الغرب » و « الهدى » ...

وفي سنة ١٩٢٠ انتقل شقيقه « سابا عريضة » الى رحمة ربه ، فجزع نسيب لهذا المصاب الفادح اشد الجزع، وبكى شقيقه الراحل بدموع سخينة ترقرقت في قصائده المؤثرة : «صرخة من الوادي» و «يا غريب الدار» و «ذكرى الغريب» المنشورة في ديوانه « الارواح الحائرة » ...

وتزوج نسيب في نفس هذه السنة من نجيبة حداد شقيقة عبد المسيح حداد صاحب جريدة « السائح » فما رزق منها اولاداً ...

وفي اثناء المجزرة العالمية الثانية طلب منه أن يشتغل في مكتب الانباء الاميركي فلبى الطلب ، ثم اعتزل العمل ، بعد الحرب ، بسبب شكواه من ضعف في كبده وقلبه ، وعكف على جمع ديوانه وطبعه . وكان ديوان « الارواح الحائرة » في يد المجلد عندما توفي نسيب عريضة يوم ٢٥ آذار سنة ١٩٤٦ في مدينة بروكلن .

نظرة في شعره
اصداء الالم واليأس والتشاؤم :

نسيب عريضة من اصحاب النفوس المنكمشة ، المنطوية في عزلة مفعمة بالالم والاحزان التي تهتز في قلبه، وتسكب انغامها في شعره ، انما هي اوتار الالم واليأس والتشاؤم. ويبدو ان شاعرنا النسيب كان شديد الاستجابة لدواعي الالم ومنغصات الحياة ، منذ فجر حياته ، قبل ان يمعن في تجربة الدنيا والناس ويختبر الحياة في سن النضوج. فها هو ينظم قصيدته « حديث الشاعر » (٧) سنة ١٩١٢ اي عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره ، فيرسل الى اسماع القلوب شهقات اليمة ، وينذرنا في البيتين الاخيرين من القصيدة بألا نفتش في شعره عن الالحان المفرحة ... فقد قطعت أطرب اوتاره العبر ، حتى اصبح هم قلبه ان يبكي ويمضي في البكاء ، في مأتم العيش ، على حال البشر :

باطلا ترجون لحنا مفرحا ... قطعت أطرب اوتاري العبر
فدعوا قلبي مع الباكين في ... مأتم العيش على حال البشر

ويذكر الشاعر في هذه القصيدة المواضيع التي يجيد التحدث عنها في قريضه ، وهي مواضيع اليمة تثير الاسى في النفوس ، فهو يحدثنا :

عن ظلام العيش ، عن سجن البقا ... عن فيافي التيه ، عن ظلم القدر
عن ليالي الويل ، عن قطع الرجا ... عن دنو البين ، عن بعد المفر
عن خداع ، عن شقاء ، عن شجا ... عن فراق ، عن دموع ، عن سهر
عن شقي عن ابي عاثر ... عن شريد ، عن نبي محتقر
عن فقير حاسد طير السما ... عن طريد ما له العمر مقر
عن عذارى بذلت اعراضها ... في سبيل العيش... بئس المتجر
عن ديار بعد مجد خملت ... وبنوها الصيد صاروا في النفر
ما بقي من عز اجداد لهم ... غير ذكرى من غدا ضمن الحفر
عن ... وكم من أنة في وتري ... في صداها عنعنات عن خبر

وفي نفس هذه السنة (١٩١٢) التي نظم عريضة خلالها هذه القصيدة ، نظم قصيدة « اشرب وحيدا » (٨) التي

هتك فيها الشاعر الحجب عن بعض أسرار عزلته ، فقد رفع كأسه ، وفتش عن الندامى والجلاس ، وبحث عن الغادة « البضة » التي تستجيب لنزوات شبابه ، وعن الرجل الكيّس الصادق الذي يسر اليه بأحاديث قلبه وفكره ، فلم يعثر على احد من هؤلاء ، فاضطر الى ان يشرب كأسه وحيداً ...

وفي القصيدة بث وجداني حزين وموسيقى شجية الرنين ، ورقة لا تخفى على القراء والناقدين ... تساءل شاعرنا في قصيدته قائلا :

رفعت كاسي حين لج الهوى   واستعصت الاشجان في راسي
وصحت مغرورا بطيش الصبى :   اين الندامى ، اين جلاسي ؟
فلم يجبني احد منهم   سوى الصبا مرت بانفاسي
وجاوبتني بلسان الصدى   والصدى رهبة ايجاس
اشرب وحيدا أيهاذا الفتى   أوصم عن اللذة في الطاس
قلت : اما من رجل صادق   ذي ادب ، خريج أكياس
يشرب نخبي وانا نخبه   ونقرع الكاس على الكاس
اروي له اخبار اهل الهوى   ويكتم السر عن الناس
فصاح بي من داخلي هاتف   منتهر في زي خناس
اشرب وحيدا ويك ياذا الفتى   أوصم عن اللذة في الطاس
قلت ، أما من غادة بضة   علي يحنو قلبها القاسي
ترمقني شزرا بلحظ الهوى   وتقرأ النجوى بانفاسي
اشكو شذوذي في حياتي لها   وصد خلاني وجلاسي
حتى اذا ما اشتد داعي الهوى   تقول لي : ما فيك من باس
وترفع الكاس الى ثغرها   فاستقي من فضلة الكاس
«قف» قال لي رجع الصدى غاضبا   « يكفيك وهما ايها الناسي »
« اشرب وحيدا أيهاذا الفتى   أو صم عن اللذة في الطاس »
فقلت : ان كان على ما ارى   امري فخل الناس للناس
وقمت والكاس علت في يدي   رفعتها أعلى من الراس
شربت وحدي نخب نفسي ولم   يقلقني هاتف وسواس
وكان سماري نجوم الدجى   وكانت الآمال جلاسي
رأيتها تهتز سكرا معي   منشدة نغمة ايناس :
اشرب وحيدا أيهاذا الفتى   ولا تصم عن لذة الكاس

وفي قصيدة «جلسة طرب» (٩) التي نظمها عريضة سنة ١٩١٥ عزوف عن مغريات الحياة ، وميل الى الحزن والكآبة ، وومضات صوفية تشع من روح القصيدة . فالمغني يغني في سكون الدجى واصحاب «نسيب» يقولون له : أما تسمع ؟ وكؤوس الطلى تدار واصحابه يقولون له : أما تشرب ؟ فيجيبهم « نسيب » : دعوني مطرقا ، حائرا ، منطويا على كآبتي اذ لا مطمع لي في لهوكم ، فانا اطرب بانغام اخرى أحس عصفها في كياني ، اما خمرتي فاني اعصرها من اضلعي ، فدعوني وشأني :

غنى المغني في سكون الدجى   فقال لي صحبي : اما تسمع ؟
نراك لا تحسو كؤوس الطلا   ولا تنادي « آه » اذ تخشع !
اما ترى المطرب اما شدا   يهتز من انشاده الموضع
وانت كالصخرة في السيل لا   تجري مع الماء ولا تجزع
قلت : دعوني مطرقا حائرا   فليس لي في لهوكم مطمع
من لي بان اطرب والنفس قد   أمست على اسماعها برقع
اذا سمعتم فانا سامع   ما ليس يصبيكم ولا يمتع
أبعد من ضجة الحانكم   عاصف أنغام به ارتع
قرارها الحزن ودولابها   كآبة ضاقت بها الاربع
وان شربتم فانا منتش   من خمرة تعصرها الاضلع
قد تشبع الاكؤس من خمركم   اما سويدائي فلا تشبع

ويبدو لي ان زميله في الحياة الدراسية وفي جمعية «الرابطة القلمية» ميخائيل نعيمة قد اقتبس فكرة موشحه « لو تدرك الاشواك سر الزهور (١٠) » من عينية عريضة الآنفة الذكر . ومن الادلة على ذلك ان نسيب عريضة نظم قصيدته « في جلسة طرب » سنة ١٩١٥ كما هو مثبت في نهاية هذه القصيدة المنشورة في « الارواح الحائرة » . في حين ان ميخائيل نعيمة نظم موشحه « لو تدرك الاشواك سر الزهور » سنة ١٩٢٠ كما هو مثبت في نهاية الموشح. واليك المقاطع التي تشابهت فيها الفكرة والغاية . يقول نعيمة :

يا ساقي الجلاس بالله لا   تحفل بكاسي بين هذه الكؤوس
أترع لغيري الكاس اما انا   فاحسب كأني لست بين الجلوس
واعبر ودعني فارغ الكاس
لا ، لا تقل ما طابت الخمر لي   او انني ما بينكم كالغريب
بل ان لي يا صاحبي خمرة   ما مثلها يطفي بروحي اللهيب
اعصرها من قلبي القاسي

وهكذا يعرض « نعيمة » عن الخمرة لانه يملك خمرة أفضل منها يعصرها من قلبه القاسي ، ويعرض عنها « عريضة » لانه يملك خمرة يعصرها من اضلعه . واما بشأن موقفهما من الطرب والاستجابة لانس الالحان فكلاهما يكتفي بالالحان المترددة في جوانب نفسه . اسمع نعيمة في موشحه المذكور يقول :

يا مرسل الالحان من عوده   سحرا يهيج الصب حتى الجنون
اما رأيت الراس مني انحنى   والعين غابت خلف ستر الجفون
فلا تقل ذي حال ولهان
لا ، لست بالولهان يا صاحبي   فالقلب مني جامد كالجليد
لكنني مصغ لنفسي ففي   نفسي أوتار وفيها نشيد
فاضرب ودعني بين الحاني

وارى ان مثل هذا الاقتباس أبعد مدى من « توافق الادكار والتعابير في ادب الرابطيين » الذي عالجه « عيسى الناعوري » في كتابه «ادب المهجر (١١)». فالاقتباس شيء وتوافق الافكار والتعابير شيء اخر . والاقتباس وان كان بعيدا ، في بعض الاحيان ، عن السرقة الا انه لا يعدو ان يكون ، في افضل احواله ، تقليدا ومحاكاة ...

وفي قصيدة « دعني وشأني (١٢) » التي نظمها عريضة سنة ١٩١٥ يضرب شاعرنا على وتر الزهد والقناعة ، ويرسل الى اسماعنا انغام الصبر والاحتمال ، وفي بعض ابيات هذه القصيدة الوجدانية يقول الشاعر ما لا يستطيع ان يفعل ، من ذلك قوله :

قل افتقرنا فلم نلجأ الى احد   وقل فجعنا فلم نخضع لاحزان

وديوانه « الارواح الحائرة » خير شاهد على عدم صدق هذا الزعم ، فمعظم قصائده تفيض الما وحزنا ، فكيف لا يخضع للاحزان وهو الذي اغرق ديوانه بالدموع السخينة ... اما الابيات التي تبتعد عن طبيعة الاشياء فهي :

وقل عطشنا وكان الماء قسمتنا ... فلم نرده وعفناه لظمآن
وقل : عشقنا فلم يعلم بنا بشر ... ولا الحبيب ولا فخر بكتمان
وقل: سهدنا فلم نشك السهاد الى ... نجوم ليل أضاءت فوق عميان
وقل: شقينا فلم نخضع لذي صلف ... ولم نحارب شقاء بابنة الحان

ولا ادري كيف يقترب الظمآن من الماء ثم يرفض ان يشرب منه ويعافه لسواه عن طيب خاطر ... واين هذا المعنى المتهافت من معنى بيت « القاضي الجرجاني » :

يقولون لي ذا مورد ، قلت قد ارى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

اما العشق الذي لا يعلم به احد حتى الحبيب فلا وجود له على الارض ... واذا افترضنا ان الحب المقصود هو الحب الصوفي وان الحبيب هو الباري عز وجل فكيف لا يعلم الباري بحب عبده له وهو الذي يحيط بكل ما يختلج في الصدور ؟.. واذا كان المقصود بالحبيب انسانة ما .. فالويل لها من مثل هذا الحب الذي لا يضر ولا ينفع !..

وقد احسن عريضة صنعا عندما كتم نجوم الليل شكواه بسبب السهاد ، فالشكوى الى الجماد عبث شعري ليس الا ... اما بيته :

وقل شقينا فلم نخضع لذي صلف ... ولم نحارب شقاء بابنة الحان

فصدره صحيح ، لان نسيب عريضة كان ابي النفس ، شجاع القلب . وأما عجزه فتكذبه قصيدة « رفعت كأسي » ويكذبه قول صديقه ميخائيل نعيمة (١٣) : « كان نسيب يحب الاكلة الطيبة ، والكأس المشعة ، وله ولع بلعب البوكر وتدخين السيكار » .

وفي قصيدة « انا في الحضيض » (١٤) يعلن الشاعر عن بؤسه المرير المتمثل في مرضه وضيق ذات يده وغربته ، ويتلهف الى معين مخلص ومنجد محب ، في تلك البيئة التي يتراكض الناس فيها على اشلاء الضعفاء المتهاوية :

انا في الحضيض
وانا مريض
افلا يد تمتد نحوي بالدوا
وتبث في جسمي ملامسها القوى
وتقلني من هوتي نحو الذرى
فاسير مستندا عليها في الورى

الى ان يقول ، وقد يأس من وجود الرفيق والدليل والصديق في دربه الموحش الطويل :

ما من مجيب
ما من حبيب
سر يا شقي كفاك تشكو ما دهاك !
العل لا شاك من البلوى سواك
كم ذا تفتش عن مؤاس او معين !
هيهات ان الناس مثلك اجمعين

فلا عجب – والحالة هذه – ان ينظم نسيب عريضة قصيدته الوجدانية المؤثرة « على الاطلال » (١٥) في نفس السنة التي نظم خلالها قصيدته الآنفة الذكر . ففي هذه القصيدة – على الاطلال – يقف عريضة على « ربع المروءة والوفا » ليندب الاطلال المتهدمة والصروح المتهاوية ... ويتحسر ، عندما يتذكر ، «زمن النبالة والكرم» فقد انطوى ذلك الزمن الوضيء واصبح المال يغفر جهل الجاهل ويرفع قدر الوضيع . ولا اشك في ان عريضة ما كان ليرسل هذه الشهقات الاليمة لولا الجحود الذي لاقاه – وهو الاديب الفاضل – من اخوانه العرب السوريين واللبنانيين المغتربين ... فهو يشكو بصراحة لا تحتمل التأويل جحود ابناء جلدته الذين كان يتوقع منهم ان يقيلوا عثراته في طريق الدولار ... والدليل على ذلك المقطع التالي من قصيدة « على الاطلال » :

يا صاحبي ، أليس حقا – ما قرانا في الكتب
عن جابري العثرات عن ... اجواد سادات العرب
عن حاتم ، عن معن ، عن ... كعب بن مامة في الحقب
والقائلين ، الفاعلين ، – الباذلين بلا طلب
عجبا ، الم يبقوا لهم ... نسلا فيعرف ما وجب
يوم الوفاء ؟

وقد بلغت آلام واحزان « عريضة » الذروة عند وفاة شقيقه « سابا » سنة ١٩٢٢ فرثاه بثلاثة قصائد خلال هذه السنة هي «صرخة من الوادي (١٦) » و « يا غريب الدار (١٧) » و « ذكرى الغريب (١٨) » . ويكاد نسيب عريضة ان يبز في قصائده هذه اغلب القصائد التي قالها شعراء العربية في رثاء اشقائهم ، فهي تبز همزية (١٩) « ابن الشبل البغدادي » الرائعة في رثاء شقيقه «احمد» التي يقول في مطلعها :

غاية الحزن والسرور انقضاء ... ما لحي من بعد ميت بقاء

تقع القصيدة الاولى « صرخة من الوادي » في ٤٨

---

(١) قسم من دراسة مطولة عن الشاعر في الجزء الثاني من كتاب « مع الشعراء » المعد للطبع . (٢) عندما تولى الشاعر نسيب عريضة تعريف نفسه في العدد الممتاز لمجلة « السائح » النيويوركية اكتفى بقوله: « شاعر لا يرى في كل ما نظمه شيئا ، وكاتب لا يود ان يقرأ ما كتبه . هذا ما يريد ان يقوله عن نفسه ، ولا يود ان يزيد على ما ذكر شيئا سوى انه لا يزال على الطريق ، ونصب عينيه المحجة ، وسيواصل سيره اليها غير ملتفت الى آثار اقدامه في الرمال . ولد في حمص ، وهاجر الى اميركة سنة ١٩٠٥ وما سوى ذلك غير جدير بالاهتمام » . (٣) سبعون لميخائيل نعيمة ط ١ ص ٣٠ – ٣١ . (٤) العدد التاسع ١٧ سبتمبر ١٩٦٣ . (٥) نسيب عريضة شاعر الطريق – بقلم ميخائيل نعيمة – مجلة « الآداب » البيروتية ايار (مايو) ١٩٥٣ . (٦) سبعون–لميخائيل نعيمة – المرحلة الثانية ص ٥٧ – ٥٨ . (٧) ديوان « الارواح الحائرة » ط نيويورك سنة ١٩٤٦ ص ١٧ – ٢٠ . (٨) الارواح الحائرة ص ٢١ – ٢٢ . (٩) الارواح الحائرة ص ٤٧ – ٤٨ . (١٠) ديوان « همس الجفون » لميخائيل نعيمة ط ١ سنة ١٩٤٣ ص ٢٨ – ٣١ . (١١) ص ٤٥ – ٥٣ . (١٢) الارواح الحائرة . (١٣) سبعون – المرحلة الثانية ص ١٧٨ . (١٤) الارواح الحائرة ص ٧٢ – ٧٣ – راجع قصيدة «فتش لقلبك» في ديوان « همس الجفون » لنعيمة المنظومة سنة ١٩٢٠ فهي مقتبسة من قصيدة عريضة «انا في الحضيض» . (١٥) الارواح الحائرة ص ٧٤ – ٧٥ . (١٦ و ١٧ و ١٨) الارواح الحائرة ص ١١٦ – ١١٨ و ص ١١٩ – ١٢٠ و ص ١٢١ – ١٢٨ . (١٩) عيون الابناء في طبقات الاطباء ط الاولى بالمطبعة الوهبية سنة ١٨٨٢ ص ٢٤٩ – ٢٥٠ في ترجمة « ابن الشبل البغدادي » . (٢٠) الارواح الحائرة ص ٢٢٠ – ٢٢١ . (٢١) الارواح الحائرة ص ٤٤ – ٤٦ . (٢٢) الارواح الحائرة ص ١٧٩ – ١٩٧ .

بيتا يستهلها الشاعر الحزين بمخاطبة شقيقه الراحل ، متسائلا عن سر صمت شقيقه ، متوسلا اليه ان يجيبه اكراما للعهد الذي بينهما وان يخترق ، بقوة الشوق وقوة الاخوة ، الحواجز التي تفصل بينهما :

يا صاح ما لك لا ترد أصددت ام اعياك بعد ؟
نفسي الاسيرة في الحضيض ـ اليك ايديها تمد
هلا أجبت أليس ما بيني وبينك ، صاح ، ود
ام انت في كون سحيق ـ لا صدى منه يرد
ام قصرت نفسي ودون ـ مداك أبعاد وجهد
أفتعجز الارواح عن خرق الحواجز لو تود ؟

وهكذا يمضي الشاعر الحزين في اسئلته الحائرة المحيرة المتطايرة من جراح روحه ودموع قلبه ، وقد لفه ليل الاسى من كل جانب ، مفتشا في هذا الليل المدلهم عن بصيص من الرجاء ينير له الطريق ... ويتساءل قائلا :

أفتخرس الارواح اذ تنأى وتنسى من تود
ام تضمحل فما لها عود ولا امل وخلد ؟

ثم يرسم لنا الشاعر الحزين حالته الاليمة بعد فقد شقيقه في صورة زيتية تجنح الخيال حيث يقول :

نفسي على بحر الاسى يتنابها جزر ومد
فالقلب يدفعها الى حيث الهلاك لها معد
فتطيع ذاهلة وحادي ـ عيسها لليأس يحدو
تصغي الى الامواج تلطم ـ طوفها لطما يهد
وشراعها أمل تمزق ـ والرياح عليه تعدو
والعقل يقذفها الى شط السلو ولا تود
تأبى سوى الذكرى وفي ـ الذكرى لها ألم وسهد
آها من الذكرى ففي أكوابها سم وشهد

وتستبد اللوعة بالشاعر الحزين فيسأل قائلا :

أكذا النهاية ؟؟ يا لعقبي ما لها في الخلق بد

وتثور الدهشة في نفس الشاعر اذ يفكر في العالم الباطني للانسان ، ذلك العالم المترامي الاطراف ، فيعجب كيف يقبع عالم المطامح والعواصف والاماني والفكر وما الى ذلك في حفة صغيرة موصدة :

جسم تضيق بهمه ـ الدنيا على نعش يمد
أين المطامح ، والعواصف ، والاماني ـ وهي حشد
والفكر خلاق الغرائب ـ هل له في اللحد حد
وبنات صدرك هل لها تحت الثرى خدر ومهد

ثم يعلل الشاعر مصير الذين طواهم الموت ، على ضوء الايمان واليقين فيقول :

هيهات ! ما ضم الضريح ـ سوى قليل لا يعد
لم يطو جوهرك الثرى فالروح لا يطويه لحد
قد ضم قبرك ما يحد ـ وان نفسك لا تحد
ارجعت عارية الثرى وخلعت ثوبا لا يجد
وسموت نحو مطالع الانوار ـ حيث الصبح يبدو
فالى اللقاء اخي ، فاني ـ سوف اغدو حيث تغدو
جاريتني فسبقتني ان المسبوق هو الاشد

وما يكاد الشاعر الحزين يتنفس الصعداء بهذا الايمان وهذا اليقين فيشعر بما يشبه الراحة النفسية والطمأنينة الروحية ، حتى تستيقظ احزانه من جديد ، فيتكلم ، عندئذ ، بلسان الحكيم الرزين ، عن لذات الحياة الزائلة ومسراتها المنطوية فيقول :

ما العيش آمال واموال ـ ولذات ورغد
العيش ارواح تعذب ثم ارماس تخد
ليست تعيد لنا الصدى وعلى التحية لا ترد

وقصيدة « يا غريب الدار » لا تعدو ان تكون ترنيمة حزينة ، لا تخلو من الرقة والعمق ، يستهلها الشاعر الحزين بمناجاة شقيقه الدفين في حالة قاسية من حالات صحوة الذكرى وعصيان الصبر :

شفني التذكار وعصاني صبري
وفؤادي غار اثر طيف يسري
والدجى محيار ليس يدري أمري
ايها الاقمار أين ولى بدري

وتستثير هذه الحفرة ، المفرطة في الضيق ، فكر الشاعر المفجوع ... هذه الحفرة التي اعتاد الحفار ان يشقها بمعوله من غير ان يفكر بغير الربح الذي تدره عليه مهنته .. فهو يشقها من غير اكتراث ولا يهمه ان يعرف انه انما يهيل التراب على اعز الاعزاء :

حفرة كم حار في مداها فكري
شقها الحفار ومضى لا يدري
ان فيها صار كل ما في العمر

ثم يصف نسيب عريضة المتناقضات التي تلتقي في هذه الحفرة الضيقة :

تنتهي الافكار والخيال الشعري
والهوى الفرار والغرام العذري
عندها والعار يلتقي بالفخر

ويعود الشاعر الى مناجاة اخيه ، البعيد الدار ، القريب الذكر ، فيتحدث عن الاقدار المرغمة وعن انهار الاعمار التي تصب في بحر الابدية وعن المسامير التي دقها الموت في صليب الدهر وعن القبر « قاطف الازهار في ربيع العمر » ...

اما قصيدة « ذكرى الغريب » التي تقع في ١٢٦ بيتا ، فتكاد ان تكون ملحمة يتيمة في باب الرثاء في الشعر العربي، وتتميز هذه القصيدة الطويلة عن القصيدتين السالفتين بسعة الخيال وغرابة الصور وطرافتها وتشترك معهما في الحزن المشبوب والاسى الهائج ...

لا نسمع ، في مقدمة هذه القصيدة ، صيحات الاسى ، ولا نلمح نيران الاحزان ، وانا نسمع انغاما رقيقة يخاطب بها الشاعر « لاهل الخلود » الذين انتقل الى عالمهم شقيقه « سابا » فهو يوصيهم به خيرا :

غريب على الباب يرجو الدخولا أثار النوى فيه شوقا طويلا
ألا ادخلوه أهيل الخلود اليكم ولا تحرموه مقيلا
اتى بابكم مدنفا حائرا عليلا ـ فهلا اجرتم عليلا
قفى العمر في التيه في القفر حتى نفته الحياة فالقى السبيلا
وابصر انواركم في اشتعال فسار اليها يروم الوصولا

وبعد ان يصف الشاعر الغربتين اللتين تحمل عبئهما شقيقه ، غربته عن وطنه العربي وغربته عن ربه ، وكيف انه مضى كالشهاب ، لم يودع اخا او حبيبا ، يعلل الشاعر موت اخيه فيشبهه بذبول الزهر وغروب الشمس التي

تشرق من جديد ، ولكن تعليله جاء من قبيل التساؤل الحائر لا اليقين المستقر ، فما يكاد يقول :

اجل ، مات كالزهر اذ يعتريه — ذبول ، أليس الممات ذبولا ؟
أليس الممات غروبا يليه — شروق . أليس الحياة اصيلا ؟

حتى يعلن حيرته بصراحة :

ام الموت خاتمة لا يليها — ابتداء ، ولا تستعيد الفصولا ؟
اخي اهدني انت لا شك تدري — امورا تحير عقلي الكليلا

ويمضي الشاعر في اسئلته الحائرة ، ثم يبدأ بوصف حزنه ، فيجسم لنا المعنويات ، ويصور لنا مخبآت سريرته ادق تصوير :

فلم يبق لي منك الا ادكار — وحزن مقيم أبى ان يزولا
نما باسقا فرعه في فؤادي — وعمت في ترب نفسي الاصولا
وقد دك حزني هياكل سلم — بقلبي ونفسي فصارت طلولا
وقفت اناجي خراباتها — وقد خيم الليل فوقي ثقيلا
تلوت عليها صلاة الرجاء — فما صادفت في السماء قبولا
فخر فؤادي ينوح عليها — صريعا يكاد يكون قتيلا
يحاول – لو يستطيع – النهوض — وينفض عنه ترابا أهيلا
وتسخر منه طيوف الرؤى — وتضحك ضحكا رهيبا طويلا

ثم يشرع الشاعر بشن حملة شعرية مظفرة على «طيوف الرؤى» التي اقلقت راحته واقضت مضجعه واعادت له ذكريات أخيه الحبيب الراحل ... وقد ساهم عشرون بيتا من شعره الوجداني الرقيق في هذه الحملة الموفقة ..

يحاول الشاعر ، في البداية ، ان يطرد عنه هذه الطيوف القاسية بصورة سلمية ، فيغريها بأن تذهب الى سواه ، ولما لا يأنس منها الانصياع يهددها بالويل :

لك الويل عكرت صفو الدجى — وكان ادجاي جميلا جليلا
ترقبت فرصة ضعف الفؤاد — فمثلت لي من عذابي فصولا
تقاضينني الدين ، دين الاسى — خذي الروح مني فلست البخيلا

ثم يضرم شاعرنا نيران ثورته على « طيوف الرؤى » ويتحدى تماديها بدق الطبول وتشديد الخناق على مهجته ، غير عابيء بقهقهتها ورقصها وعبثها وتقمصها اشكال العفاريت الخ ... حيث يقول :

طيوف الرؤى في الدجى، ما لقلبي — عتاب عليك فدقي الطبولا
وصفي مواكب هول وويل — وسيري وجري امامي الذيولا
وشدي الخناق على مهجتي — ومصي دمائي لئلا تسيلا
الا قهقهي وارقصي واعبثي — بقلبي وسدي عليه السبيلا
فان تصخبي ويك لن ترعبي — فؤادي ولن تجديه جفولا
تجلي بشكل العفاريت حولي — وصيري اذا شئت غولا أكولا
تعود رؤياك طرفي فلو — حجبت لجالست سهدي ملولا ...

ثم تخف حدة الثورة ، ويؤثر الشاعر زجر « طيوف الرؤى » ودفعها بالتي هي احسن ، فقد احس الشاعر بانه اعجز من ان يطرد الذكريات عن ذهنه لا سيما في سكون الليل :

طيوف الرؤى المرعبات اهربي — لئلا تري حزن نفسي المهولا
طيوف الرؤى النائحات اسكتي — فقد نحت قبلك نوحا طويلا
طيوف الرؤى الراقصات اخجلي — فقد رقص القلب رقصا وبيلا
طيوف الرؤى المغريات البسي — ثياب الحياء وارخي السدولا
فقد اصبحت نار قلبي رمادا — وقد صار شوقي زهدا ثقيلا
طيوف الرؤى الساحرات اصبري — أكن ساحرا بكرة او اصيلا
طيوف الرؤى سوف ياتي نهاري — فيحجبك النور عني قليلا

ثم يصف الشاعر الحزين حالته في النهار ، واذا بصباحه اتعس من ليله ، ونهاره اشد ايلاما لنفسه من دجاه ، فالنهار انما يكشف وجوه المعزين المجاملين الذين يرددون الفاظ التعزية ترديدا ببغائيا ينطلق من الالسنة ولا يتعدى الآذان ... وهل هو بحاجة الى هذه التعازي التقليدية المملة ، وهل تمسح مثل هذه التعازي الباردة المألوفة ، الدموع السخينة المتدفقة من عينيه المكدودتين ؟.

لقد عكر الدمع نور عينه ، وقد آن للناس ان يعرفوا ذلك ، اذ لا يليق بهم ان يلعبوا بجراحه مثل هذا اللعب الرخيص . اليس من الافضل لهم وله ان يتركوه متمتعا بوحدته وانفراده :

اعود الى الناس عند الصباح — وهيهات في الناس اشفي الغليلا
اذا ما راوني استعاروا الاسى — لهم برقعا واستحثوا العويلا
وقال المجامل لي والمعزي — كلاما لدى كل خطب مقولا :
لنا عوض في سلامتكم — وليت السلامة تجدي فتيلا
ولو قرأ الناس طرفي لفروا — وهالهم ما ابى ان يقولا :
حذار ! فقد عكر الدمع نوري — دعوني وحدي واخلوا السبيلا
حذار ! فان الضريح بقلبي — فلا تكشفوا عن فؤادي السدولا
حذار ! ولا تلعبوا بجراحي — ولا تسبروها لئلا تسيلا

ثم يصف الشاعر حزنه في ثلاثة ابيات لا تخلو من المبالغة، ولكنها على اي حال ، ليست من المبالغة السمجة المنفرة ، فالحزن الهائل خليق بالتهويل :

حذار فحزني رهيب وبيل — يذيب النجوم ويروي السيولا
تنوح الملائك ان لامستها — نسيمات حزني حماما هديلا
وترثي الشياطين من رحمة — لخطبي وعزريل يغضي خجولا

انه يريد ان يتفرد بحزنه ، ويستقل به ، ولا يريد من احد ان يقتحم عليه عزلته المحفوفة بالاحزان ، ويرى ان هذه التعازي ، مهما تفنن فيها اصحابها ، لا تجديه ولا تجدي فقيده نفعا :

فمن يبصر الموت وجها لوجه — يرى كل هذي التعازي فضولا

وبعد هذا البيت اقحم بيتين لا رابطة بينهما وبما قبلهما او بعدهما ، ولا عجب فهو في موقف يغلب فيه التدفق على التروي :

ومن يمعن الفكر يمسي يؤوسا — يعاف الحياة ويهوى الرحيلا
أيا نافخ الصور ، هل نفخة — تعيد المكفن حيا جميلا

ثم يشرع ، بعد ذلك ، بمخاطبة الناس وتبصيرهم بنهاية الحياة البشرية جيلا بعد جيل ، كأن ما كان لم يكن ، ملتمسا منهم الا يقفوا في طريق فؤاده الذي اصبح جموحا جفولا .

ثم يبدأ الشاعر بوصف قلبه فيحلق ويمعن في التحليق ويرتفع ويمعن في الارتفاع ، ويأتينا بصور مبتكرة عن القلب الحزين . أسمعه يخاطب الناس ويصف حالة قلبه في الصفو والكدر :

أيا ناس فيم التعامي وانا — نساق الى القبر جيلا فجيلا
دعوني وشاني وسيروا حيارى — على سبل كم أضلت دليلا
ولا تقفوا في طريق الفؤاد — فقد صار قلبي جموحا جفولا
وقد كان في الصفو شيخا حكيما — فأمسى لدى الحزن طفلا عليلا
يعاف الرضاع ويأبى الفطام — ويمشي بعكازتيه ذليلا

تعلم أمثولة اليأس غيبا ... وفي يأسه يأمل المستحيلا
يريق الوطاب على صخرة ... ويقفو السرب ليروي الغليلا
يلقح بالكفر أيمانه ... ويخلق من نملة الشك فيلا
ويعصر من صخرة الحق بطلا ... ويدخل في مقلة النور ميلا
فيا لك قلبا كثير التجني ... يكون صديقا ، فيمسي عذولا
يروح طبيبا ، فيغدو عليلا ... ويسري دليلا ، فيضحي ضلولا

ثم يحاول الشاعر الحزين أن يهديء من روع قلبه فيغريه بالتناسي ، ويغريه بالوهم ، ويغريه بالخلود :

فؤادي اتئد قدك تبكي وتهزي ... وتنشد لحن الفراق الطويلا
حنانيك ! هلا تناسيت ، هلا ... تأسيت ، هلا رقدت قليلا !
أستعطيا لا يمد يديه ... أستهديا لا يروم السبيلا
تعلل ونم قانعا بالحصى ... وحسبك بالوهم زادا جزيلا
فجوعك اولى ، فان تبغ زادا ... فيا لطعام سيغدو الاكولا
فهوم ونم حالما بالخلود ... ففيه رجاء يروي الغليلا

وبعد ذلك يخاطب عريضة عقله الذي يعترض ويفكر ويعلل من غير طائل :

ويا عقل ما لي وما لك فاصمت ... ولا تعترض ، قدك قالا وقيلا
كفاك انتكارك هذرا ونكرا ... فكم حير الفكر قبلا عقولا !
ففيم تسائل : أين المآل ... ستبقى كما جئت أعمى جهولا
وهيهات تدرك مغزى الامور ... وليس البراهين تجدي فتيلا
لقد صدر الحكم قبل ولدت ... فاعدد لنفسك موتا جميلا

ولا ادري كيف جاز لنسيب عريضة ان يستعمل « قبل ولدت » في البيت الاخير محل « قبل ان تولد » فضرورة الشعر لا تسمح بهذا العبث اللغوي ، اذ لا يصح ولا يجوز ان تهان اللغة اكراما للوزن ...

وبعد ذلك يهدأ الشاعر الحزين ويحاول ان يستسلم للقضاء والقدر وان يبث احزانه بهدوء ، ويعترف بانه ــ لو عقل ــ لآثر الحبور على الحزن لان اخاه قد مضى الى عالم الخلود غصنا فتيا عزيزا لا شيخا متهدما ذليلا :

اخي لم نزودك حين رحلت ... من العيش الا الاسى والعويلا
واولى بنا ــ لو عقلنا ــ الحبور ... فقد صرت حرا وحزت القبولا
وموتك غضا فتيا عزيزا ... لخير من الموت شيخا ذليلا
فطوبى لمن راح صفر اليدين ... واحسن قبل الخروج الدخولا

وينهي عريضة مرثيته الوجدانية الحزينة المؤثرة بابيات يعلن فيها استسلامه لمشيئة القدر وخضوعه لصروف الدهر وتراجعه عن التساؤل الذي لا يجدي ، ولا يطلب من اخيه سوى ان يكون كفيله ودليله في مراقي الخلود :

فها انذا صاغر عاجز ... عن الفهم لا ابتغي المستحيلا
خضعت خضوع الاسير الضعيف ... وقد كبلتني قيود الهيولى
واطرقت ، بل اطرق الكبر بي ... لاخفي عذابي وطرفي البليلا
وعفرت راسي امام القضاء ... واطفأت مشعل فكري الضئيلا
واغمضت عيني لكي لا ارى ... وصنت لساني لكي لا يقولا
سأمسح دمعي بكف الرجاء ... واضغط جرحي لئلا يسيلا
تقدمتني في مراقي الخلود ... فكن لي كفيلا ، وكن لي دليلا
اذا بلغتني كؤوس المنايا ... فاحببت بهـا مترعات شمولا

واعتقد ان في هذا القدر كفاية للدلالة على استجابة نسيب عريضة للالم واليأس والتشاؤم فقد تلقى الرجل ضربات الحياة القاسية بعد ضربة ، فعبر عن تأثير هذه الضربات الموجعة في نفسه بدقة وامانة واخلاص .

البحث عن الحقيقة

كأن شاعرنا المغترب نسيب عريضة من المعنيين اشد العناية بالبحث عن حقيقة الحياة ومصدر الوجود . وهذا الاحساس المعنوي المشبوب عند نسيب وغير نسيب من شعراء « الرابطة القلمية » عجيب وغريب . فقد ذاق اكثرهم مرارة الفاقة في ديار الغربة ، ولكنهم لم يصوروا مرارة الفاقة ومشكلات العوز والحرمان بقدر ما صوروا لنا مشكلات « الروح » وازماتها في سيرها الحثيث نحو المعرفة وفي حنينها المشبوب نحو الله ...

ويكاد نسيب عريضة أن يتزعم النزعة الروحية التساؤلية ذات النكهة الصوفية ، بين شعرائنا المتغربين ، وهو الذي مني بخسارة مادية كبيرة خلال الحرب العالمية الاولى عندما قضت ظروف تلك المجزرة العالمية على مجلته «الفنون» .. ولم تنجده معونة اصدقائه عام ١٩١٦ الى اكثر من سنتين ... فاضطر الى ان يشتغل محررا في « السائح » و « مرآة الغرب » و « الهدى » ثم في « مكتب الانباء الاميركي » كما بينت في ترجمة حياته الآنفة الذكر ... وبالرغم من مشكلات الزمن المتلاحقة التي انقضت بعنف على جسده وروحه كما ينقض النسر الجارح على الحمل الوديع ، فانه بقي بعيدا عن « الارض » في اكثر شعره وبقي ذلك الشاعر الحائر المفتش ، بلا هوادة ، عن العوالم الروحية التي تشرق فيها المعرفة وتتألق الحقائق ...

اتكون هذه النزعة الروحية المشبوبة رد فعل لما يعانيه الشاعر الحساس في الحياة المادية الشائكة من فشل ذريع وانكسار مريع ؟ واذا لم يكن الامر كذلك فهل يمكن رد هذه النزعة وما خلفته من روائع القصائد الى التمنيات والاحلام العابرة التي لا تشق بجذورها الراسخة تربة نفس الشاعر؟!

ومهما يكن السبب ، فقد ابدع شاعرنا النسيب كل الابداع في حيرته وتساؤله . وهو في حلبة التساؤل والحيرة لا يختلف عن زميله في « الرابطة القلمية » ايليا ابي ماضي الذي اطلق صرخة « لست ادري » المدوية في وجه المجهول . الا ان صرخة ابي ماضي كانت صرخة انسان تشده الارض الى الواقع ... ولكن اغلب صرخات عريضة الحائرة لا تعدو ان تكون صرخات روح تتعثر باشلاء الغيوم ...

كان « ابو ماضي » يطرق الابواب المفضية الى الحقائق فيسمع اصداء طرقاته متجاوبة في كلمتين : « لست ادري » فييأس ويشعرنا بانه قد تعب ولا يريد لغيره ان يتعب ... اما « نسيب عريضة » فانه وان كان لا يكتمنا آلام ووحشة ومخاطر الطريق الروحي ، الا انه لا يكف عن التحليق والبحث ، مدفوعا برغبة جامحة نحو الارتياد والكشف . أسمعه يقول في قصيدته «طريق الحيرة(٢٠)»:

طال ما نطلب امرا ... مبهما عز وشقا
تعبت طرق قطعنا ... شوطها غربا وشرقا
فهي تشكونا وترجو ... من خطانا اليوم عتقا
ان شكتنا السبل في الا ... رض فخذ في الجو طرقا

ليس يرضيها كثير | سر بنا نطلب حقا
نفخ الخلاق فينا | أنفسا تهوى وتشقى
طامحات تطلب الشيء | وتابى حين تلقى
ليس يرضيها كثير | وهي ما تنفك حرقى

ليت شعري اذا بلغنا الجنانا
هل ترانا نرضى بها ، هل ترانا ؟!

وقبل ان اتطرق الى وثبته الكبرى في مطولته « على طريق ارم» التي صورت جوعه الروحي اروع وادق تصوير، يجمل بي ان اعرج على قصيدة من قصائده المشحونة بالحيرة الا وهي قصيدة « لماذا » (٢١) التي اعلن بها عجزه التام عن تفسير تناقضات الحياة . فهو يتساءل عن سر حبنا للازاهير الفضة واعراضنا عن الازاهير الذابلة ، وعن سبب تعلقنا بالمسرات ونفورنا من الاحزان ، وعن سبب اعراضنا واعراض الطبيعة عن دموع الفقير ، وسر عناية الطبيعة متمثلة في الاوراق واشعة الشمس بدمعة للندى ... ويتعمق اكثر من ذلك فيتساءل قائلا :

لماذا تهب الرياح على | شواهق ليست بها حافله
وتحرم من بردها مهمها | به أوشكت تهلك القافله
لماذا السفينة تطلب ريحا | ومن تحتها ابحر طائله ؟
وفي القفر عطشى يريدون ماء | وريح السموم بهم نازله
لماذا نحس ، لماذا نحب | لماذا نعيش بلا طائله
لماذا التناسل والنسل ندري | بأن الحياة له قاتله
أكيما نزيد المقابر رمسا | ونصغي الى رنة الثاكله ؟
لماذا يفوت الاديب الغنى | ويحظى به فئة جاهله ؟

وبعد ان يطرح هذه الاسئلة المثقلة بالحيرة ، المستفسرة عن سر تناقضات الحياة ، لا يكتمنا عجزه عن الجواب عليها، فهو كزميله ابي ماضي ، لا يدري ... ولا يستطيع ان يجيب بغير هذا الجواب الصريح :

لعمري وعمرك هذي امور | تحير ذا حجة عادله
ومن راح يطلب تفسيرها | سيفنك قوته العاقله
فصمتا أيا من يلوم الزمان | ويشكو أفانينه الهائله
فان الحياة لاقصر من ان | نحل بها عقدة شاغله

وهكذا بقي نسيب عريضة « شاعرا » ولم يصبح « فيلسوفا » لان الفيلسوف يستطيع ان يقول : « لان » بصرف النظر عن خطئه وصوابه في تعليل تناقضات الحياة ...

ولا يسعني ، وانا القي الضوء على شعر عريضة الروحاني الحائر ، الا ان اعرج على مطولته « على طريق ارم (٢٢) » التي تقع في ٢٣٦ بيتا موزعة على ستة اناشيد . وهذه المطولة تصور ، بدقة وطرافة ، المراحل الروحية التي قطعها الشاعر وهو يبحث عن الحقيقة . وقد قدم لها نسيب عريضة بتوطئة نثرية لا بأس من ايراد نصها ، قال:

« جاء في اساطير العرب ان « ارم ذات العماد » مدينة عجيبة بناها شداد بن عاد من حجارة الذهب واللؤلؤ والجواهر فكانت فتنة باهرة للعيون لا يقدر القادم اليها من بعيد ان ينظر اليها اذا واجهها في ضوء النهار . ثم اقفرت هذه المدينة العجيبة واختفت في الصحراء فهي في مكان محجوب ، عامرة بقصورها السحرية وكنوزها المباحة ولكن لا وصول اليها. وقد طلبها كثيرون فهلكوا ، او ضلوا وعادوا قانعين من الغنيمة بالاياب . هذه ارم الاساطير . اما ارم التي يتحدث عنها الناظم في ملحمته فهي «ارم» الروحية يسير الشاعر مراحل مع قافلته في طلبها ، ويصف طريقه مرحلة مرحلة ، حتى يخيل اليه في الاخير انه رأى نارها من بعيد ... ولكنه لم يصل اليها .. » .

في النشيد الاول « اول الطريق » يخاطب الشاعر « سمير نفسه » ولا نعرف ماذا يقصد ، بالضبط ، بسمير نفسه ، ويغريه بان يرافقه في رحلة روحية يطيران فيها من « عالم الحدود » الى حيث الآفاق الروحية الواسعة :

قم نتخذ للمنى جناحا | يطير من عالم الحدود
عسى نرى في السماء دربا | نسير فيه ولا نعود
نؤم خدر الرؤى ونحظى | بما حرمناه في الوجود
قم واترك الجسم حيث يبلى | فالموت خير من الجمود

* * *

لي كل يوم هوى جديد | بلا وصال ولا لقاء
حولي مياه حلت وساغت | لكن قلبي بلا ارتواء
لو رمت يوما لكنت اجني | من ثمر الحسن ما اشاء
لكن هوى النفس في خيال | قد لاح للروح في السماء

والمقطع الاخير من هذا النشيد يرشدنا الى نهاية المطاف في المرحلة الاولى من مراحل رحلة الشاعر حيث آثر شاعرنا العودة الى الارض ليقنع فيها بالخيال :

تقرحت أعين الدراري | وحشرجت أنفس الليالي
وولولت في الدجى شكوكي | ورفرفت اجنح المحال
واستاسر الحلم باختيار | وطار همي بلا عقال
فعد بنا يا سمير حزني | نقنع في الارض بالخيال !

ويستأنف نسيب عريضة وصف رحلته الروحية في النشيد الثاني : « القلوب على الدروب » الذي تنطلق منه انغام عذبة شجية والذي ينتهي بالمقطعين الرقيقين اللذين يخاطب بهما الشاعر القلوب المتعطشة الى المعرفة ، مستحثا اياها على المسير :

يا قلوبا غدت نياقا | سامها الوجد ان تساقا
دون ان يقطع الوثاقا | احسني ، احسني اللحاقا

أسرعي بالهبوب
مع ريح الجنوب

لا تهمنك الرمال ! | لا يعيقنك العقال
قد سرى قبلك الجمال | معه النور والكمال

فاسرعي يا قلوب !
واهتدي بالطيوب !

وفي « الطلل الاخير » ـ وهو النشيد الثالث ـ يخاطب الشاعر طللا من اطلال الروح ، حائرا مثل الشاعر ، يسأل عن الركب :

ترفق ايها الطلل | فقلبي طافح وجل
نظرت الي تسالني | بطرف ملؤه الامل
وعهدي الركب يسأل ان | أتاك عن الاولى رحلوا
أظنك قد عميت على | اوانس طال ما وصلوا
هنيئا انت تعرفهم | وتذكر انهم نزلوا
ولكني حلمت بهم | واتبعهم فلا اصل

وفي النشيد الرابع : « في القفر الاعظم » يلمح الشاعر

السراب فيخيل اليه ان فيه روضا كرياض جنة الخلد . . . ولكن أين السراب من الماء ، واين الخيال من الحقيقة . . . فلا غرابة اذا ما نحر الشاعر المسافر المنهوك ناقة وجده وعاد للقفر وحده وقد استبد به النصب وعصر قلبه اليأس:

ما اجمل الآل يبدي ... مياهه من قريب
لي فيه ري ووعد ... ورغبة في التحدي
قد كاد ينضب مما ... وردته يوم وردي
وقفت احسب أني ... في غمرة نلت قصدي
وخيل لي ان فيه ... روضا كجنات خلد
وناقة الوجد فيه ... عادت لرعي القلوب
فسقتها من جديد ... الى ضريح غريب
ضحيتها لا لجدوى ... ولا لضيف حبيب
وعدت للقفر وحدي ... أنوء تحت صليبي ...

وفي النشيد الخامس : « القيروان » يبلغ الشاعر ذروة الابداع عندما يصور لنا صراعه المحتدم بشكل يكاد ان يكون ملموسا . . . فقد حشد الشاعر « قلبه » و «مهجته» و « هواه » و « عقله » و « شوقه » و « حلمه » و «رغبته» و « طويته » و « بنات صدره » و « ذكرياته » و «ساحرات الاماني » و « عائلات الخطايا » . . . كل هذا الحشد العجيب المتنافر ، جمعه الشاعر على «طريق الجنون» :

على طريق الجنون
بين المنى والمنون
حيال وادي السكون
وقفت اجمع ركبي

قد كان في الركب قلبي ... ومهجتي وهوايا
والعقل حامي السرايا ... والشوق زاجي المطايا
وفي الهوادج حلمي ... ورغبتي والطوايا
بنات صدري وشعري ... والذكريات الخطايا
وساحرات الاماني ... وعائلات الخطايا
يحدو لهن حنين
حداء اعمى سجين
يرى بغير عيون
رؤيا تشوق وتصبي

وتستوقفني في هذا المقطع صورة رائعة لحنينه المستعر نحو الحقيقة ، فقد صور حنينه ـ وهو حادي الركب ـ بالاعمى السجين الذي يرى بغير العيون الترابية رؤيا تشوق وتصبي . . . وهي صورة رائعة ولا ريب . . .

وبعد ذلك يصور الشاعر صراع عقله مع قلبه . فقد سار الركب في بداية هذه المرحلة وكان القلب دليل الركب ، وكأن يغري القافلة بالوصول الى الهدف المنشود ، ولكن ماذا كانت النتيجة :

سرنا حثيثا وكنا ... نهيم في كل واد
القلب يقفو هواه ... ونحن اثر الفؤاد
لله در فؤاد ... يهدي وليس بهاد
ورطنا في مهاو ... وساقنا لوهاد
طوى بنا كل شعب ... الا سبيل الرشاد
كم قادنا لكمين
وساقنا لعرين
وزجنا في اتون
من نار وجد وحب

فانتهز « العقل » فرصة جهل « القلب » بمعالم الطريق وانتفض ثائرا على القلب ، وعاتب الركب على انقياد من فيه للقلب ، فتحداه القلب وحذر الركب من العقل « الخرّون » الذي « يغري باليقين » فما كان من العقل تجاه هذا التحدي الا وجرد سيفا من « الصواب » وضرب به القلب ، فخر الفؤاد صريعا ، فاستلم العقل زمام الامور واخذ يقود الركب ويسومه العذاب ويسير به في مجاهل التيه ويقول : اهتدينا !! حتى ضج الركب ومن فيه وصاحوا : اين المناهل ؟ اين المنازل ؟ فشرع العقل بالمراوغة، فانبرى له « الشك » واجبر العقل على الفرار . عندئذ وقف الشاعر الحائر على « طريق الجنون » « بين المنى والمنون » « حيال وادي السكون » يجمع أشتات ركبه ويغريه بقرب الوصول الى اليقين :

يا ركب ، يا ركب صبرا ... لم يبق الا اليسير
لا ترجعوا لقفار ... فيها الاماني تبور
امامنا الطود فامضوا ... الى الشعاب المسير
فلنرق طود التجلي ... ففي الذرى نستنير
اذا ارتقينا الثنايا ... قرب الاله نصير
فنحتظي باليقين
من نور حق مبين
ونستقي من معين
يفيض انهار حب

ولم يصادف اغراء الشاعر قبولا عند « بنيات صدره » فقد دب اليأس فيهن لفرط الاتعاب من غير طائل ، فانخذل الركب ومضى الشاعر وحده ينادي ركبه المنخذل ويناجي عقله وقلبه ويهدىء من روع نفسه الحزينة الباكية بعد ان طرح كل رحاله . . . وسمع الشاعر حزنه وهو يغني تشفيا بمصير الشاعر المؤلم ، فيخاطبه خطابا وجدانيا مؤثرا حيث يقول :

حزني ، لماذا تغني ؟ ... اسرك اليوم ثكلي ؟
أما علمت بأني ... فقدت قلبي وعقلي ؟
فاصمت وسر في السكون
على طريق الجنون
بين المنى والمنون
يبدو لنا وجه ربي . .

وفي النشيد السادس : « نار ارم » يخيل للشاعر الباحث عن اليقين انه قد لمح نور الحقيقة المحجوبة ، يلوح لعيني خياله من بعيد . . . فيخاطبه متلهفا ويهتف في المقطعين الاخيرين من هذا النشيد :

ايه ضوئي البعيد ... لح ولح ما تريد
ايس طرفي يحيد ... عنك حتى يعود
لتراب ودود
لح ولح في الفضاء ! ... قد سمعت النداء
ودليلي الرجاء ... فمساه يقود
ظامئا للورود

وهكذا تنتهي هذه الرحلة الروحية التي قام بها شاعرنا الباحث عن الحقيقة ، بهذين المقطعين اللذين يشع منهما امل الشاعر بعد ان عانى من قسوة اليأس ، الشيء الكثير . . .

بغداد **حارث طه الراوي**

قصة

اقوى من الزمن

بقلم المحامي ناجي جواد

تقلب الجو بغتة فاكفهر وجه السماء بعد صفو واخذ المطر يتساقط رقيقا خفيفا ينثر على الارض قطرات صغيرة فيكسبها طراوة ، وتعبق منها رائحة عطرة وينثر على الاشجار رذاذا ناعما فتزهو اوراقها بخضرة ندية طرية تبعث في النفس المسرة وتنزل على القلب الغبطة .

وأصاب السابلة في شوارع « كوبنهاكن » من ذلك المطر المخيف المحبب للنفوس الصادية التي ترويها القطرة العابثة وتسعدها النسمة العابرة . ولم يتوفر لحدس اهالي كوبنهاكن هذا التبدل الفجائي في الجو بعد اشراقة شمس ذلك الصباح البديع وصفاء سمائه ... ولو احتملوا ذلك لحملوا معاطفهم ولاستعانوا بمظلاتهم . وتقلبات الجو كالايام تأتينا فجأة وتدهمنا بغتة فلا تنذرنا ولا تشعرنا بالمباغتة لنتعظ ونعتبر .

واصاب زينب قسطها من ذلك الرذاذ الرخي الناعم ، وهي تحث السير وحيدة في شوارع المدينة لتصل الى « التيفولي » الذي اهتدت اليه نهار امس عندما قامت بسفرة « التورست » مع المسافرين لتطلع على معالم كوبنهاكن كما شاهدت فيها « اميرة البحر » واصغت لقصتها الخرافية التي لخصها الدليل للمسافرين بلباقة وحكاها بظرافة وأعلمهم انها تمت لتأريخ هذه المدينة بصلة البطولة والمجد وتحفز للتضحية والفداء للوطن .

فقد قضت زينب ليلتها امس بعد هذه السفرة الممتعة تصارع في فندقها الم الوحدة وتملأ رأسها الظنون اذ لا زوج ولا صديق ولا قريب يقاسمها هذه المتعة ويجاذبها اطراف الحديث، فهذه المدينة الجميلة بمناظرها الطبيعية الرائعة وشاطئها بزرقته الصافية ، وبناياتها بالوانها الزاهية وكنائسها الرابضة بخشوع ، ومتاحفها بصورها الزيتية الفنية المنضدة وتماثيلها المنتشرة الملهمة . كل هذه المعالم في هذه المدينة الناعمة المنعمة مرت امام ناظر زينب فلم تشعر بطعمها ولم تنعم بمنظرها، اذ الوحدة قاسية والصمت مطبق ، كيف لا تشعر بهذا الضيق وهي لاول مرة تجرب السفر وتمارس الغربة وهل يدرك مشاعر الغريب الا الغريب .

فهذه الاحاسيس الوحشة جعلت زينب تضيق بعالمها وتضيق بسفرتها ، بل لقد جزعت حتى من غرفتها الانيقة التي استقرت في الطابق السابع من الفندق الكبير ، فلم تعد ترى فيها الا جدرانها الاربعة التي امست تنقض عليها انقضاضا حتى الوانها الحديثة الزاهية تحولت في نظرها الى لون اسود قاتم كسواد ليلتها ، فتلاشت الالوان وذابت حتى حال لون الجدار الاصفر الفاقع الذي نضد بجانبه سريرها الخشبي ذو اللون البني والذي استقرت بجانبه طاولة رشيقة حديثة التصميم استقر عليها تلفون عاجي اللون وذاك الجدار الابيض تمتد بمحاذاته منضدة ركزت عليها مرآة صافية كانت تتأمل بها وجهها بنظراتها الحائرة وتدقق فيه الهزائم المتراكمة لسبعة وعشرين عاما هزيمة هزيمة .. ولم تكن تراقب ذلك بروح التشاؤم والنفور المألوفين في مثل هذه الحالة ، وانما تناقشه بروح مؤمنة متفائلة باشراقة شمس حياتها من جديد ، كما يلوح ذلك على الصورة الزيتية المعلقة على الجدار الزاهي بلونه الفيروزي ، والتي رسمت بطريقه التكعيبات التي تشعرك اشراقتها بتناغم الوانها ، كأنها نغم موسيقي منسجم ، فهذه الصورة السريالية تصور سفينة تسري في نهر هادىء وتتجه نحو افق بعيد ..

أأعجبتك الغرفة الحديثة الغارقة في الاناقة ..؟ لا شك انها غاية في الروعة وسمو الذوق ، اذا ما تطلعنا اليها بنظرة المتفرج الناعم الخيال الخالي البال ، اما في نظر زينب فقد حالت الوانها وكلح اثاثها ، كروحها القلقة ونفسها المدلهمة . والنفس اذا ما تلوعت والروح اذا ما هلعت والسبل اذا ما ضاقت وتقطعت ، فليس بعد مجال للعين ان ترى اجمل ما في الوجود ، وليس للاذن ان تميز اعذب الالحان وانما يتحول كل شيء الى صخب وضجيج ودخان ورماد ..

وكذا كانت زينب تجتاز اعنف تجربة عاطفية منيت بها في حياتها منذ فشلها بزواجها من عادل اذ لولاه لما راقها ان تفارق بغدادها العزيزة التي يعمرها الاحباب وتزينها الذكريات . فاصدقاؤها واهلها واولادها قد ملأوا حياتها ولم تذق بوجودهم طعم الوحدة ولم تستشعر بالفراغ ، ففي بلدتها الدافئة بشمس العواطف والمشرقة بنور الصداقة لتشعر النفس من خلالها بالسلام والطمأنينة وهما اصفى من الماس وغلى .

لذا رات زينب ان تبدد ضباب السأم الممض وتقضي على القلق المضني ، وهي بهذا البعد النائي عن الاهل والخلان بان تتجه الى التيفولي ،وكان الرذاذ المتساقط بخفة يهدهد خصلات شعرها الفاحم ويدغدغ بلطف ورشاقة خديها الاسيلين ، كما لامست قطرة نزقة شفتيها الورديتين فاضفت عليهما حلاوة وطراوة احست زينب عندها بنشوة الحياة ومرح الشباب فانتفضت بخفة وقفزت برشاقة الى الرصيف .

وما ان وصلت التيفولي حتى احت تحتمي بشجرة كريمة الاغصان ناخت عليها الايام واحنى جذعها كر لاعوام فانضوت تحت اغصانهاالدانية لقطوف وداعبت بكفها اوراقهاالندية لعطوف ، تحتمي بحماها وتركن طمئنة بجوارها ، فتخيلت ان هناك كائنا يحنو عليها او يبدد وحدتها ، والمرء اذا ما ضاع في دروب الحياة وتنكر له الحظ والناس وعز عليه الصديق الصدوق تشبث بأي كائن في بث همه اليه وسد فراغ روحه عنده حتى ولو كان قطة او كلبا او شجرة او حجرا . فالانسان ذلك المخلوق القوي قد يهون ويضعف ويتقلص فيصفر حتى امام نفسه اذا ما عاكست ريح الشمال سير سفينته ولكن الانسان الواثق من نفسه وذاته المدرك رسالته لا يكون ولا ينهزم امام الشدائد بل يقوى وقد يكون اقوى من الزمن .

وهكذا كانت زينب الفتاة الشرقية القسمات والخلق والسمات وليدة تلك المحافظة التي تعتز بالعفاف اكثر ما تعتز به وتفخر بالعفة اكثر ما تفخر بها ولو كان ذلك على حساب حرمان النفس من متع الحياة وضياع فرص العمر تلك البيئة التي ارضعتها من اسماء الامانة والكرامة اكثر مما ارضعتها من الالبان فصارت تشعر باللذة لتلك الاسماء اسماء الامانة والكرامة . وعلى رغم ما كان يعتمل في نفسها وعلى رغم ما كانت تحس به من الم وضيق فقد كانت قوية تدرك اين يجب ان تضع قدمها واين سينتهي بها الطريق فتمشي ثابتة الجنان كبيرة التفاؤل قوية الايمان فلا تعير غوغاء الفضوليين اهتماما فيما يتعلق لسلامة تصرفاتها او عدم سلامة تصرفاتها في رايهم عالمة بان من طبيعة فضولهم أن يدسوا انوفهم في كل شيء ليعرفوا حركاتها ويترصدوا سكناتها . وما اكثر الناس في بلدها الذين اضحت هوايتهم جمع الاخبار وتزجية اوقات الفراغ بالقيل والقال ولا شك ان مجتمعها قد ورث هذه الثرثرة واجترار الاخبار لما مني به من الحرمان والجهل والفراغ ، ايام كانت بلادها قلقة مضطربة بسبب ما توالت عليها من الغزوات فكان الناس يعيشون بلا مسرات ولا استقرار ، وهذا ما كانت تعتقد به زينب وتعلل نفسها وتمنيها بأن هذه التقولات عنها ستزول وسيضمحل مجتمع الفضوليين اذا ما استجاب كل لبناء شخصيته وتطوير نفسه نحو الاحسن وشارك الاخرين في همومهم العامة ، وبهذه العقلية سيسعد مجتمعها وتذوب ثرثرته وتتلاشى اكثر متاعبه .

والتيفولي الذي قامت زينب بزيارته عبارة عن مدينة للالعاب تسطع بها الانوار وتتدفق في وسطها مياه



المحامي ناجي جواد

●

البرك والنافورات بالالوان الزاهية حين تسلط عليها الانوار الملونة من خضراء ووردية وصفراء وزرقاء وبنفسجية وحمراء وتأخذ بالعيون ونسقت على حواشيها زهور نظمت بأيد قديرة فنيةوتحفها اشجار منسقة تنضوي تحتها صنوف الورود وتقبع جنبها مقاعد رشيقة وتنتشر في ارجائها وباحاتها العاب مسلية فهنا حلبة للرقص وهناك سيارات كهربائية لركوب الصبيان والشبان وفي جانب آخر ساحة لركوب الخيل يسعى اليها من يهوى الفروسية ويتعشق صورة الحصان رمز القوة والجمال والخفة وهناك جمهور يصغي للموسيقى وفي جهة اخرى نضدت الكراسي والموائد لتناول الطعام أو لترشف الشاي . فهذه المدينة المسلية يؤمها المسافرون من كل حدب وصوب من ارجاء العالم الذي اضحى متشابه الامنيات منسجم الرغبات فالكل يرغب ان يعيش والفرحة تملأ قلبه والحب يسود عالمه .

كما يلازمها شباب المدينة العابثون المترفون يفتشون فيها عن فتاة لعوب او فريسة جديدة تحطم قلبها بعشيقها الملول أو استهان بها زوج لعوب او فتاة لم تتعود ان تصبر على طعام واحد .

واحتارت زينب ماذا تختار وهي وحيدة غريبة عن هذا المجتمع الصاخب بالمرح والرقص والمسرات وعندها اختارت اسماها ذوقا واسناها تعبيرا للنفوس الحيرى فاندفعت نحو شباك التذاكر مترقبة متحذرة من ان يضايقها احد الشباب .

ـ اعطني بطاقة .

ـ بطاقة واحدة يا انسة .

ـ نعم واحدة .

ـ آنسة .. ولي ثلاثة اولاد .. الله ما اظلم اهلي فقد زوجوني وانا طفلة غريرة .. لم لم يردعوني حينما احببته اليست لهم تجارب اكثر مني لم لم يردعوني عن الزواج المبكر ..؟! لكن ما ذنب امي المسكينة ولم انحو باللائمة عليها الست انا التي الحت عليها وتضرعت عند حجرها وتشبثت بثوبها الحنون فضعفت لتوسلاتي.. كيف لا وهي امي وانا ابنتها المدللة .

دخلت زينب قاعة الموسيقىوكانت الانوار ذابلة خاشعة وارشدهاالمشرف الى رقم كرسيها وراحت الموسيقى لتشايكوفسكي تفعل فعلها بعواطفها المتأججة وانهال عليها سيل دافق من الصور والافكار والاخيلة فاحتلت ذهنها المشوش بشتى الاهواء وسكنت في قلبها المحطم وروحها المزقة فالموسيقى ملكت عليها كل عواطفها ومشاعرها فاضحت تحت تأثير قوة خفية ورغبة لا تقاوم .

غادرت القاعة غاضبة نافرةوانزوت في ركن من اركان التيفولي وحيدة غريبةوراحت تتفحص الناسوتغبطهم لمرحهم ولهوهم فهم كاسراب من العصافير تزقزق وتطير بنزق في باحات هذه المدينة المسلية الالعاب التي لم تعثر بها زينب على تسلية - واني للوحيد ان يسلو واني للفاشل ان يلهو - فالوحدة كالشيخوخةتبعث في النفس الشجن وتجتر صاحبها ذكرياته ... وتنبهت زينب من قنوطها وحيرتها الى قدمين تنتصبان امامها ورات حذاء لماعا ينتهي بكم (بنطلون) انيق يعلو حافتها وسمعت صوتا عذبا يدعوها بادب وظرف الى حلبة الرقص بعد انحناءة رشيقة فانتفضت من حلمها المشوش ورفعت راسها المكدود لتتطلع الى شاب رشيق القامة انيق اللباس نحيف الوجه ذي عينين براقتين تغمرهما زرقة محببة وتظللهما اهداب ظليلة كالخمائل وشعر ذهبي نحيف تدلت منه خصلة جموح على جبينه العريض وابتسامة خجلى تتعثر بين ثنايا شفتيه الورديتين .

فاستغربت من جراته الا انهارفضت دون تردد وتفكير صحبته اذ سبق لسانها الشرقي عواطفها الجامحة ورغبتها الملحة لرفيق يبدد ضباب وحدتها وينسيها غربتها فالشاب المارس لم تعوده مهنته الليلية ان يقطع الرجاء ويستسلم لليأس وامامه فتاة وحيدة فيها سحنة غريبة بلونها الاسمر وشعرها الفاحم وسواد عينيها فتدارك عثرته وبادرها بلباقة مهنية وعقلية أوروبية ان تفسح له ليجلس بجوارها ان سمحت ...

- تفضل .

قالتها بخفر وحياء الا انها شعرت الآن بانها انسان فهي تتحدث الى شاب وهي ليست وحيدة لعن الله الظنون من قال انها وحيدة .. فانها مع شاب يعاملها بلطف ويحنو عليها بظرف فسكن روعها وانار ظلمةروحها الحزينة .

وجدت زينب ان الفرق بين هذا الشاب المهذب وبين زوجها الفظ كبير فهو السيد المطاع المغرور بجاهه وماله وهل غير الجهلاء من يعزهم المال ويترفعون به على الناس كي يعوضوا عن النقص الذي يثلم شخصيتهم ويحز في نفوسهم فيحلو لهم ان يستخفوا بآراء الاخرين ويهزأوا باحاديث المجربين وكذا كان زوجها المتبجح المتعجرف يعاملها بفظاظة فيسخف اراءها ويسخر من اقتراحاتها ويهزأ من اناقتها ويتغاضى عن جمالها .

لكن زينب المثقفة مؤمنة بنفسها مدركة عن بصيرة وجدارة ان الكمال لا يوجد على هذه الارض وان الله لم يجمع العالم في واحد .

بينما راح هذا الشاب المهذب الرقيق الحديث كرقة الماء الصافي النفس يحدثها عن معالم المدينةويشرح تاريخها ويؤكد على جوانب ثقافتها ومجدها وانتقل بلباقة ورشاقة الى فستانها فابدى اعجابه واطرى اناقتها وشعرت زينب بانه يؤكد ثقتها بنفسها ويجدد ايمانها بجمالها ، فنظرت للشاب بعين تنم عن شعور الرضى والايناس شعور انسان حائر فاشل يريد شيئا يملأ فراغه ويؤكد وجوده .

فتطلع الشاب الى وجه زينب المشرق وقال :

- حقا لقد اسبغت عليك الطبيعة آيات الجمال .

- ما يصنع الجمال اذا لم يرافقه الحظ .

- هل تؤمنين بالحظ ...؟

- انا أؤمن بان الحياة حظوظ .

- هذه غيبيات تناقضت فيها الآراء وحار فيها العلماء فدعينا من الخيال وحدثيني عن الواقع فاخبريني من اين جئت ومن انت ...؟

فاجابته والابتسامة تنير محياها النضر :

- ايهمك من اين جئت والى اين ذاهبة ... المهم انني هنا ... هل سألنا انفسنا يوما من اين جئنا والى اين سيؤدي المطاف بنا . المهم اننا نمارس مقتضيات وجودنا على شاشة هذه الحياة . فكل منا ممثل يجب ان يؤدي دوره على خشبة المسرح .

- انها فلسفة يا عزيزتي ... اشرقية انت ؟

- نعم انا شرقية ... يا لك من شاب ذكي .

- عفوا ، فانا لست بالذكي ولكن حديثك ينم عن فلسفة الشرق ويوحي لي بانك صينية او هندية..

- انا بغدادية .

- بغداد .. لقد طرق سمعي اسمها من قبل ، اين تقع ؟

- بلاد الف ليلة وليلة ، التي لم اذق بها طعم الهناء ليلة .

- حرام انت قطعة فنية ، انت تلك الجنية الشرقية طارت من بغداد على بساطها السحري وحلت هنا بقربي ... تعالي معي اتنقل بك على بساطي الآلي ، واشار الى سيارة انيقة وقفت بباب التيفولي .

رفضت زينب بادب والابتسامة تعلو شفتيها واستغربت من مفاجئته وعجبت لنزقه الصبياني وتحلله الخلقي الم يشاهد حلقة الزواج في كفها ؟ كيف يتسنى لمتزوجة مثلها ان تصحبه ولما يئس لرفضها واصرارها استمر يتكلم ببساطة ويغريها بلباقة وصراحة تنسجم وسجيته وبيئته .

وبقيت زينب صامتة حائرة لم يغضبها تحمسه ولم يزعجها تشويقه واغراؤه ولم يرهبها خلقه ووداعته لكن فاته ان فتيات مجتمعها غير فتيات مجتمعه المتحررات فهن سهلات العشرة طيعات الانقياد تسيرهن رغباتهن ويعشن لاهوائهن ضاربات بالمثل الاجتماعية والقيم العائليةعرض الحائط .

اما زينب الفتاة الشرقية فاعز ما تعتز به كرامتها وعفتها وتعففها وستصونها رغم ثورتها والاهانة التي لحقتها من زوجها وذاك الفشل المريع الذي منيت به في حبها فقد صممت عن عزم وايمان ان لا تخون زوجها ولو انها قررت باصرار وايمان ان

انطلاقة

اقتربي كالظـــن لا تقلقي	مصباحنـا مـن فوهة المشرق
ومن عطايـا الفجـر أيامنـــا	وهينمـات الحلـم الزنبقي
وكالعصافــير اذا غــردت	من سكرة فـي روضها زقزقي
وعرشي كالزهر يا واحتــي	فخيمتي في المنحنـى الضيق
تأبى انطلاقـاتي سوى بسمـة	ترعشهـا من ثغـرك المؤنـق
وغــير اطيـاف شراعيــة	تنساب من زورقنـا المورق
وتنكر الانسام في حقلنـــا	غير تلاحين الهـوى الريق
مزرعـة البـوح ودن الشذا	ما عشت من نهر الرؤى استقي
اسبح في وادي المنـى ذاهـلا	وانتشــي بالنغـم الازرق !

الرياض — حسن عبد الله القرشي

تطلقه ... تطلقه وهـي محتفظـة بشرفها متمسكة بمثلها ولو ان نفسها حدثتها ــ والنفس امارة بالسوء ــ فقالت لها من سيعلم بك يا زينـب وانت هنا في اوروبا ...؟ ثم مـن سيقدر ويثمن عفتك الذي تتجملين به ...؟ ان زوجك وقد خانك ونبذك وغفا عن حبك ... ام مجتمعك الذي قسا عليك والقى التهم جزافا وارتجالا على حركاتك وسكناتك . ولكن هـي تعرف نفسها اكثر مما يعرفها الناس ويحلو لها ان تكون امينة مع ضميرها فهي انسانة آمنت بالاخلاص. وقدست الكرامة . وادركت ما يدركه الناس بانها زوجة شريفـة وأم فاضلة . وستبقى هكذا رغم ضربات القــدر وتقلب الايام . واستوحت من الخليفة عمر قوله (رب لذة ساعة اورثـت ندما طويلا) وهذه هي الساعة لم لا تصبر صبر المؤمن ، وتزهـد زهـد التقــي ، فاذا جاءت زوجها غـدا بطلبها فستقف في وجهه عالية الجبين وستقولها بصراحة لا تتعثر كلماتها وتنطقها بكلمات واضحة طلقني ...

لا شك ان مجتمعها سيغضـب عليها ويتألب جلهم ضدها وليس فيهم من يقول مسكينة انها عاشت زوجة تعسة تعذبت طويلا وسحقت كرامتها كثيرا حتى ثارت وطالبت بحقها في الحياة ... الا يحق لها بان تعيش بقية عمرها بهناء وهل هناك عمر ثاني كي تصبر على هذا النكد . اما الناس هم الناس في كل زمان ومكان يفضلون المراوغ المداهن على الصريح النزيه . والناس لا يتحسسون متاعب غيرهم وهمومهم . فكم من الزيجات الفاشلات تعلم بها زينب وصفت كثيرا لشكواهم، وادركـت عمق تعاستهم ، ومـدى تنافرهم بل وحتى خيانات بعضهـم وبراعتهم في اخفاء مشاكلهم وخياناتهم وتبريرها كابسط هزيمة يسجلونها على انفسهم ... وكم كانت جورج صاند على حق اذ قالت «الاستمرار بالعلاقة الزوجية الفاشلة دعارة شرعية » . ثم ان هذه الدعارة الشرعية كمـا وصفتهـا جورج صاند يتحسسها الابناء ويدركون التنافر ويعرفون سر الخصام اذ (ما في القلب تظهـره عثرات اللسـان) ... كما انها خيانة للعمر المضيع بين هذه المجاملة وذاك التزييف .

وظن صاحبها الشـاب المنتظر ان سكوت زينب رضا وقبول فمد يده بأدب وظرف واراد ان يأخذ بيدهـا نحو سيارته ... فسحبـت يدهـا بلطف واعتذرت بلباقة .

ــ ان زوجها ينتظرها !

ــ هل زوجك في الفندق ؟!

ــ نعم تركته ... في الفندق... ينتظرني هناك ... اذ قد طال عليه غيابي ... وداعا ...

بغداد — المحامي ناجي جواد



يوسف عبد المسيح ثروة

لوركا والمرأة والدم

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

هـذا شاعر ساحر وكاتب مسرحي فذ ، امتاز بالطراوة والطلاوة والحلاوة ، فما من مقصد شعري الا اجاد فيه ايما اجادة ، ان رقة في البيان او جمالا في الاسلوب وسلاسة في الاداء ، وسلامة في التركيب، وصدقا في المعنى والمبنى وقدرة على الاخذ بنواصي الاوابد والشوارد ، وكيف لا يكون الامر كذلك والشاعر الساحر ، هو ابن البلدة الساحرة غرناطة وقيثارتها وصناجتها . انك حين تستمع اليه ـ ولو مترجما ـ انما تستمع الى حفيف اشجار البرتقال ، اشجار الذهب الثقال . ورفيف اوراق الكروم واغصانها الدانية الدالية . كل ذلك في لهجة غرناطية انسانية عميقة لها رنين كؤوس الفضة وهي تصطفق انتظارا لحفلة ، هـذه اللهجة التي تعبر عن البشر في الاندلس الاسبانية تعبيرا فيه حرارة القيظ وصرامة الرجال الاشداء حين يدافعون عن كرامتهم وعزتهم وعرضهم ، وفيه لطف اغاريد الربيع حين تنشدها الصبايا الباكرات على حوافي الانهار والسواقي والجداول ، وفي قلب كل منهن امل يرنو وترقب يهفو الى غد حلو ومستقبل ترفرف عليه قوة الرجولة وبطولتها وصمودها في وجه المحن ونوازل الزمن . وفيه ، زد على ذلك ، جبروت الجبال وسطوتها وسهولة السهول وبسطتها وليونة الحرير وتماسكه ، وطموح الانسان ، اي انسان ، الى المكانة اللائقة به في مجتمع لا يفرق بين جنس ولـون ودين وسلالة .

ان لوركا شاعر كل هذه الاشياء مجتمعة ومتفرقة سيد الكلمة واستاذها في دواوينه ومسرحياته ، يستغل كل حركة ومشهد وسلوك انساني لكي يجعل منها جميعا نارا تتأجج لظى وسعيرا حين تقتضيه الحال ، ويجعل منها بردا وسلاما ونسيما عليلا عندما تتطلب الوضعية ذلك ، فقدرته على معالجة النقيضين المتطرفين قدرة شاعرية اخاذة وهو في ذلك استاذ فنه بلا منازع . اما الاخيلة المجنحة والصور الغريبة والاساليب الفذة فقد كان يبتكرها ابتكارا عفو الخاطر . وكيانه الشاعري جديد بالمعنى الدقيق من الكلمة اذ لم يسبقه سابق في كثير من الصور التي خلقها خلقا من عبارات شعبية متداولة في بلدته او في بلده، ومع خشونتها وفظاظتها لاول وهلة ، فانها احلى من الشهد حين تنطلق مزمجرة من فمه الذهبي بعد ان تكون قد اكتست لبوسا جديدا من الشفافية الايحائية . وكل الاعمال الفنية التي اهداها الى الانسانية من اضراب « الاسكافية العجيبة » و « ماريانا بييندا » و « الزفاف الدامي » و « يرما » و « بيت برناردا البا » تمتاز بخلفية شاعرية خصبة التربة ريانة العود حلوة الجنى بديعة المنظر ، فيها تسري روح تتواثب عنفا في مواضع العنف وتمشي رخاء في مواضع السكون والهدوء .

الا ان ذلك كله لا يحول بيننا وبين ان ننظر الى الشاعر بوصفه شاعر المرأة بالدرجة الاولى ، فهو صوتها الهدار وسيفها المصلت ، واحتجاجها الصارخ وانينها الخافت ، ونظرتها الهائمة ، وتحديقها المتوتر ولسانها اللاذع ، واسفها العميق وثورتها العارمة وانفجارها المدمر . ان لسانه لسانها بقضه وقضيضه ، فهو وهي توأمان شقيقان. فلماذا هذا الغلو في الاهتمام بالمراة ، سواء اكانت فتاة باكرا أم عانسا يائسة اماما تحتضن ابناءها أم ثكلى يمزق انين فقدها لابنائها القلوب الصخرية ؟ انه ليفعل ذلك ، لان المراة ، في مجتمعه نصف مشلول وبضاعة مزجاة وكمية من العصب واللحم والدم ، مهملة مهجورة ، لا يعيرها النصف الاخر باي التفات ، كأنه ليس ابنها او بعلها او والدها او شقيقها . انه رجل وكفى وهي امراة وهذا ما فيه الكفاية . والانكى من ذلك انها ملزمة بما لا يلتزم به ، مجبرة على ما لا يجبر عليه ، فكأن الشرائع والسنن والاخلاق والعادات جاءت الوجود لا لشيء الا لكـي تكون اصفادا وقيودا وسلاسل تنال من معصمها ما تنال دما قانيا ينز واعصابا تتفتت ونفسا تتمزق وصبرا ينضح حتى الثمالة فيحل الشحوب ضيفا ثقيلا على وجنة ، كان من الطبيعي ان تتفتح في حمرة حية مزدهرة .

هكذا كانت المرأة الاسبانية ، يوم ان نطق باسمها شقيقها بالروح والجسد ، شاعر الالهام الصافي ، ونبي النبع العذب لوركا . انه لم يفعل ذلك الا انتصافا لحق هضيم وانصياعا لصوت شاعريته الرقيقة الهفهافة . والتعبير عن هذه الروح المأسوية لا يكون جادا قويا اخاذا الا بالاخذ بالرومانسية الشعرية من جهة وهو ما فعله بكل قوة

وجدارة وتمكن في مسرحيتيه الرائعتين « ماريانا بينيدا » و « الزفاف الدامي » ومن جهة أخرى بالاستناد الى المأثورات الشعبية في مسرحيتيه الهزلية « بيت برناردا البا » و « العقيم اويرما » ومن التأليف بين الرومانسية الشعرية والمأثورات الشعبية والمسرحيات الهزلية استطاع لوركا ان يكوّن اسلوبه الشخصي الممتاز ، الذي ظل طوال حياته القصيرة طابعه الخاص وهذا ما اشار اليه الدكتور محمود علي مكي اذ قال في مقدمته القصيرة لـ «بيت برناردا البا» :

« في مسرحه أشكال ثلاثة ، احدها : ما كان من وحي رومانتيكي تغشاه روح غنائية حزينة ويولي فيه وجهه شطر الماضي ، وثانيها : ما يجري مجرى المهازل بما فيها من انطلاق ومتعة وهوى وسخرية تحيط بانفعال غنائي مقنع وثالثهما الدراما في موضوعها الشعبي الذي ينأى فيه الشاعر عن الحقيقة ويتوخى الخيال » والى الدراما الشعبية يعزو الدكتور « الزفاف الدامي » بالاضافة الى « بيت برناردا البا » و « العقيم » وهو في ذلك محق لاستناد هذه المسرحية الى خلفية شعبية بارزة . بيد ان الشعر الرومانسي الحزين وبخاصة حين يتجسد القمر في اواخر المسرحية يجعلها في الصف الاول من الشعر الرومانسي الرائع . وهل ادل على ذلك من هذا السحر الحلال :

« ان القمر يرمي مدية ، ويدعها في الهواء عالقة

نصل يتربص في ثقل الرصاص ، مشتاقا الى ان يصير الما ينزف الدماء .

انني أريد ان استقر في صدر ، أظفر فيه بالدفء
قلب خالص لي ، دافىء يسكب ما فيه على جبال صدري » (١) .

« لا اريد ظلالا فان شعاعي لا بد أن ينفذ في كل مكان ،
حتى الظلمة بين الجذوع لينفذ فيها قبس من ضياء
فهذه الليلة لا بد أن تظفر وجنتاي ، واكوام القصب المتراكم
عند مهاب الرياح العاتية بفيض من عذب الدماء

القمر : ... ليكن موتهما بطيئا ، حتى يستطيع الدم
ان يجري بين اصابعي همسه الرقيق
انظري ، ها هي ودياني تصحو ، وهي من رماد
مشتاقة لفيض الدم المتحدر » (٢) .

او وهذه الترنيمة الغنائية الرائعة التي تقطر عسلا شهيا :

الحماة : يا وردتي ، نم ، نم ، فالجواد الادهم
بالبكاء قد هم
فقوائمه مدماة ، وعرفه مجلد
وفي عينيه اغمد خنجر من فضة

المرأة : يا قرنفلتي ، نم ، فالجواد الادهم
لم يشأ ان يشرب

الحماة : يا وردتي ، نم ، فالجواد الادهم
بالبكاء قد هم

المرأة : وشدقه المحموم ، المرقش بالفضة ،
يشخر بانفاسه ، فوق الماء الجاري
ويصهل للجبال العابسة ، شامخ الجبين
فقد مر النهر على عنقه » (٣) .

ولو تتبعنا كل ما في « الزفاف الدامي » او « عرس الدم» من نبرات رومانسية اصيلة لاطلنا على القارىء وسببنا ملله . لكننا نقف عند هذا الحد بالقياس الى « الزفاف الدامي » لننتقل الى الرومانسية الشجية ذات الصفة الغنائية الرائعة في « ماريانا بينيدا » هذه المسرحية التي تفيض شعرا ساحرا فيه بلة كل غلة ، ونشوة كل حرقة ، وخصب كل جدب . ومع ذلك لم يتلطف الدكتور حسين مؤنس لذكرها ، على الرغم من اسهاب مقدمته فيما لا طائل تحته ، وان ذكرها عارضاً فأستئناسا برأي لطيف لكاتب امريكي ناقد .

ففي احد المشاهد الاسيفة التي يتجلى فيها ضعف الرجل وقوة المرأة نجد هذا الحوار المفعم بالمعاني الحارة :

« الفريتو : هناك رعب ينشر الرعب ،
فالشوارع مقفرة لا يختال فيها الا الريح
والناس يقبعون في منازلهم ،
ولم ار الا صبية كانوا يبكون
عند مدخل « الكيسيريا » القديمة » .

وبعد اخذ ورد تسره ماريا بالخبر اليقين :

« ماريا : سيهيم دون بدرو على وجهه كالمجنون
عندما يعلم باني سجينة
من اجل رايته المطرزة .
واذا قتلت ، فسيأتي ليموت الى جانبي
لانه قال لي ذلك ، ذات مساء ، وهو يقبلني
سيأتي كالقديس جرجس ، من الماس والماء الاسود
ناشرا زهرة ردائه القرمزية الفاتنة
فلكي لا يراه أحد ،
سيأتي عند منبلج الفجر ، في زهوة الصبح ،
في الساعة التي لا تكاد ترى فيها شجرة الليمون
وهي في الفضاء المظلم ،
وعندما يعير الفجر للامواج ، اشرعة من الظل والحرير
فماذا تعرف أنت عن ذلك يا الفريتو ؟
يا للفرحة الغامرة .. أني لا اخشى شيئا اتفهم؟»(٤) .

والفريتو هذا هو رسول بدرو ، البطل الشعبي الثائر وحبيب ماريانا ، وحين نقارن بين هذا الرجل الذي يحمل في نعليه وعثاء الرعب وبين هذه المرأة التي تحمل في شعاب

---

(١) الزفاف الدامي : ترجمة الدكتور حسين مؤنس . (٢) المصدر نفسه . (٣) عرس الدم : ترجمة الدكتور علي سعد . (٤) وداعا يا غرناطة او « ماريانابينيدا » : ترجمة احمد سويد . (٥) مقدمة «الزفاف الدامي» ترجمة الدكتور حسين مؤنس . (٦) بيت برناردا البا : ترجمة الدكتور محمود علي مكي . (٧) ما يبقى من ماء في الاناء . (٨) لوركا قيثارة غرناطة : ترجمة كاظم جواد وسلافة حجاوي .

قلبها حب بدرو ، وحب شعبها ممثلا في (الراية المطرزة) نجد بسهولة ويسر لماذا كان فيدريكو غارسيا لوركا ، يحب ان يرفع شأن المرأة عاليا ، ولماذا جعل من احسن مسرحياته الحية الشاعرية النابضة بالحركة ميادين لبطولات المرأة الاسبانية الجبارة .

وهذا الاهتمام بالمرأة لاحظه الدكتور مؤنس وهو يستند في ذلك الى الناقد الامريكي ادوين هونيج كما اسلفنا فيقول : « وللناقد الامريكي رأي طريف في هذا الموضوع .. من راي هونيج ان بطلات لوركا صور حديثة لطراز من النساء معروف في الادب الاسباني كله : طراز المرأة الجياشة العواطف التي تبدو وكأنها كل شيء في المجتمع . ولوركا يصور أولئك البطلات وكأنهن مجالات مغناطيسية تجلب على انفسها المآسي بصورة حتمية ، وهن يجتلبن المآسي بطبعهن الحار وغريزتهن الجياشة . وهو يصور بطلاته في صورة « جزائر » قائمة بنفسها في بحر الحياة ، لا تخضع لقوانينها او لمنطقها ، واذا شاءت الحياة ان تخضعهن لنظامها فلا مفر من احد امرين : اما ان تتحطم البطلة او يتحطم منطق الحياة نفسها » (٥) .

وهذا لا يعني بالطبع ان كل بطلاته على غرار « ماريانا بينيدا » في شجاعتها الفذة وبسالتها النادرة وصمودها الفولاذي ، في وجه العاصفة الدموية التي اجتاحت اسبانيا على عهد بريمو دي ريفيرا ، ولو كان لنا من المجال ما نوفره لاستعرضنا مشاهد اخرى من بطولات ماريانا وبخاصة امام بدروزا الحاكم العاتي ، الذي يحاول ان يستغل موقفها لكي يتلصص على روحها الطاهرة الشريفة ويسرق منها اقدس ما فيها ، اخلاصها لشعبها ممثلا في حبيبها الثائر بدرو .

لنترك هذا الآن ولننتقل الى مسرحياته الاخرى اذ فيها نشاهد طرازا آخر من النساء الجياشات النفوس ففي « بيت برناردا ألبا » نجد « آديلا » بنت برناردا ، فتاة تأكلها الشهوة العارمة والرغبة النارية في الزواج الاعتيادي، هذا العقد الذي يعقد منه الالوف والالوف في كل رجا من ارجاء العالم . لكن بيبي ال رومانو ، يخطب ود انجوستياس اخت آديلا لانها الوريثة الاكثر غنى ، لا لانها الاملح وجها والافصح لسانا وبيانا ، فهي والجمال على طرفي نقيض وقد اشرفت على الاربعين من عمرها المديد . اديلا هذه لا تكتفي بان تحسد اختها بل هي تتعلق ببيبي الخطيب تعلق العشيقة المغامرة الجسورة الشرسة ، ذلك ان عواطفها الجياشة الهادرة النارية تأبى عليها ان ينفلت منها صيد دسم ، رجل ذو عضلات وهذا يكفي . اسمعها في هذا الشأن تخاطب اخواتها : « اديلا : لن اظل حبيسة في هذا البيت ، لست اريد ان يذبل جسدي هنا كما ذبلت اجسادكن ، لست اريد ان تفقد بشرتي بياضها في ظلام هذه الغرف » (٦) وهذا الاوار الانثوي يستعر لدى اديلا الى حد يجعل الخادم العجوز « لابونثيا » تعلق عليها قائلة: « هذه البنت لا تبدو في حالتها الطبيعية ، فاني اراها قلقة ترتجف في خوف وفزع كأنما يضطرب في صدرها ثعبان .. » وحين يشتد النزاع بين الاخوات الاخريات وبين إديلا تنبري لهن قائلة : « انا حرة في جسدي اصنع به ما اشاء » . وردا على اهتمام شقيقتها مارتيريو تقول : « اهتمام ام استجواب ؟ .. لشد ما وددت ان اكون خافية عن الانظار أخترق الجدران كالاشباح دون ان اتعرض لقذائف اسئلتكن : من اين جئت ؟ والى اين تذهبين ؟ » وعندما تجابهها لابونثيا بالسؤال : « ايعجبك هذا الرجل الى ذلك الحد ؟ » تجيبها بحدة وعنف : « الى هذا الحد . انني أشعر وانا ناظرة ... الى عينيه انني امتص دمه ببطء » .

ثم لننتقل الى ذروة الفن الدرامي ، الى العاصفة الفاجعة التي دمرت اسرتين تدميرا كاملا فظيعا في « الزفاف الدامي » فلنستمع بعد القتال الدامي الى الام المفجوعة بآخر ابنائها وهي تبث اساها ولوعتها وحرقتها الى جارتها قائلة : « ابني . لا بد ان يجيب . لكن ابني قد صار حمل ذراع من زهر جاف . ابني قد صار صوتا خافتا خلف الجبال (للجارة في غضب) اما تريدين ان تصمتي؟ لا اريد عويلا في هذا البيت . دموعكن من العين فحسب ، اما دموعي فتنهل عندما اكون وحدي ... تنبع من اخمص قدمي ... من صميمي ... من صميمي ... تتدفق احر من الدماء » . وتستطرد قائلة بعد ان تطمئن جارتها على ان الهدوء يفيدها في العزاء الاسود : « امامنا ايام رهيبة لا اريد ان ارى احدا . أنا والارض فحسب . انا واحزاني» وهذه الجدران الاربعة .. لا اريد ان يرينني في هذه التعاسة ، في هذا البؤس ! امرأة ليس لها ولد واحد تضمه الى شفتيها » .

ثم استمع الى هذا الحوار الدامي بين العروس والام بعد ان واجه كل منهما الآخر على اثر مقتل الابن العريس : «العروس : لا تقتليني بيديك بل بخطاطيف من حديد ، بل بفأس ، واضربي في عنف حتى تتحطم الفأس على عظامي ... انني قد اكون مجنونة ، ولكنهم يستطيعون ان يواروني التراب ولما تقع عين رجل على بياض صدري ...

الام : اصمتي ! اصمتي ! وماذا يهمني انا ذلك ؟

العروس : لانني مضيت مع رجل آخر ... نعم مضيت! انت ايضا كنت تفعلين ذلك لو كنت مكاني . كنت امرأة تحترق بالشوق ، مثقلة بالقروح من داخل ومن خارج . وكان ابنك بالنسبة لي سؤرا (٧) من الماء رجوت منه الولد وملك الارض والعافية ... اما الآخر فكان نهرا اسمر مليئا بالاعشاب حمل الي الصوت المكتوم لتدافع الماء بين صخوره ونشيده الهامس . ومضيت مع ابنك كما امضي مع طفل صغير وكأني في ماء بارد ، بينما كان الآخر يبعث علي مئات من الطيور اسرابا تعترض طريقي وتترك نقطا من الندى فوق جروحي ... جروح امرأة يداعبها اللهب ... كان ابنك غاية مناي ، ولم اخدعه ، ولكن ذراع الآخر

انتزعتني كأنها موجة طاغية جرتني جرا عنيفا ... »

افرأيت ما في هذه الكلمات من دماء حمراء قانيةتتصارع امواجها صراع الجبابرة ، في انواء عاتية تهتز لها النفس الانسانية اهتزاز الاشفاق والاسى واللوعة من جهة وترتجف لها ارتجاف الحنق والبغضاء والمقت من جهة اخرى . انه احد المواقف التي يستغلها لوركا الفنان ليطرحه بصفتـه موقفا انسانيا شائكا ، لا يستطيع المرء ايراد القول الفصل فيه من غير لوم ومؤاخذة . هكذا يعرض لنا لوركا الشاعر والمفكر الاجتماعي قضية انسانية ليست من القضايا ذوات الحلول السهلة ، وانما هي قضية المرأة — في اعمق مشاكلها واعقدها واشدها ارتباطا واكثرها خنوعا للتقاليد والاعراف المرعية السائدة في البلدان شبه المتأخرة كأسبانيا على سبيل المثال لا الحصر . وبعد هذا الذي قلناه لنمزج قلوبنا اسى ولوعة مع زوجة ليوناردو وهي تناجي روحه في رثاء اثير على القلب لانه نابع منه ، يقطر الدم منـــه فوارا احمر ، حمرة السكين المدماة حديثا ، فلنسارع لسماع رثائها الحار اللاهب الذي تدفع انفاسه العيون ، ولو كانت عصيـــة الدمع ، حجرية المنبع ، صخرية المجرى .

« زوجة ليوناردو : كان فارسا جميلا

واليوم هو كومة من الثلج ، كان يمضي الى الاسواق

ويقطع الجبال

ويجري الى احضان النساء ، والآن يكلل جبهتـــه

بالليل نبات اسود حالك » .

ثم لنلتف بقلوب كسيرة وانفاس متقطعة ، لنستمع الى مناجاة ام فقدت آخر اكبادها :

الام : كنت لامك زهرة الشمس ، ومرآة ترى الدنيا بها .

ليضعوا الآن على صدرك ، صليبا من الزهر المر

وليمدوا عليك غطاء ، من حرير ذي بريق

وليتجمع الماء حسرات ، بين يديك الساجيتين

هذا النبات الاسود الحالك وهذا الماء المتجمع حسرات يذكراني احر الذكرى ببيت لشاعرة عربية راعها موت اخيها وهز كيانها وزعزع وجدانها فقالـــت والحسرات تقطع انفاسها حين رات نهر الخابور باشجاره الخضر الزواهر :

ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريـف

اما مأساة الشاعر التي اودت بحياته فقد حدثتنا عنهـا موسوعة القارىء ص ٦٥٠ بقولها : «اغتيل في بداية الحرب الاهلية الاسبانية ، ومنعت كتبه من قبل حكومة فرانكو » وهذه اشارة واضحة ترد على تخريجات الدكتـــور مؤنس وتبريراته ردا مفحما لا نريد ان نقحم انفسنا فيه . وقد رثاه الشاعر انطونيو ماخادو رثاءا فاجعا مؤثـــرا لا يهـز الاعصاب حسب بل يخلخل العظام ايضا ، ومسك الختام ان نضيف بعض الابيات من تلك القصيدة الى ما سبـــق لتتم لنا صورة عن المأساة الانسانية في اعمق دلالاتها ، عن دم الضحية المسفوك ظلما وعدوانا ، عن بشاعـــة الانسان حين يصبح وحشا غادرا وعينا متلصصة ، وقلبا متحجرا ونفسا خبيثة .

يقول ماخادو في مستهلها : « رايناه يسير ، البنـــادق على جانبيه (٨)

عبر الطريق المديد ، الى سهول الصباح الندية

صامتا تحت النجوم .

الدم على جبينه ، الرصاص في ضلوعه

ثم ... هوى .

كنا نراه يمشي مع الموت غير آبه بمنجله .

الشمس على الابراج والمطرقة على السندان ترن

وفيدريكو في سبيله السمح

يحاور الموت

رايناهم يختفون

الا انحتوا ايها الاصدقاء ، عميقا في قصر الحمراء ،

عميقا في الصخر ، والاحلام ، قبر شاعر ...

تحت الينابيع حيث ينتحب الماء ،

يبكي ، ويصرخ الى الابد :

لقد وقعت جريمة في غرناطة — غرناطته » .

حقا لقد وقعت جريمة في غرناطة ، لكن هذه الجريمة لم تهز غرناطة واسبانيا حسب بل العالم باسره .

بغداد **يوسف عبد المسيح ثروة**

العطاء المرجى

ومرت على روضي المجدب

سحابات غم اثارت اسايا

وقد امطرتني رزايا

عطاء الى قلبي المتعب

وكنت امنيه ان العطايا

ستنهال يوما على الغيهب

فيا ريح هبي ... ويا عاصفه

ويا قاصفه

الا فاحطمي

ما تبقى من الهيكل المثقل

ألا فاحطمي مأملي !!

فما نفع احلامي الزائفه ؟؟

ناصح محمود

مكتبة الاديب



الضائعـــون

مجموعة شعرية ـ رجا سمرين ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

حين نقرأ ديوانا لشاعر فتهزنا بعض قصائده او نلمح بعض اللقطات الفنية الدقيقة التي لا يمكن ان تراها سوى عين فنان .. نستبشر لاننا عثرنا على شاعر اصيل يمكن بقليل من الصقل ، وشيء من الاهتمام ان نصل به الى ما نريد من الكمال الفني ، والشاعر « رجا سمرين » من هؤلاء الشعراء الذين لا ينظمون قصائدهم لتمكنهم من علم العروض ، او لثرائهم اللغوي ، وانما يكتب الشعر لانه يحمل وجدان شاعر وعين فنان ، وهو حين ينفعل ويصدق في تجربته ، وقلما يفعل ذلك ـ يأتي بقصائد من هذا النوع الذي يهز وجداناتنا ، ويحرك فينا ادق عواطفنا كما في الكثير من قصائده عن مأساة فلسطين وبخاصة قصيدته عن خيام اللاجئين، لقد استطاع الشاعر ان ينقل لنا بنجاح حياة الفزع ، والرعب ، والجوع التي يحياها اللاجئون . ويصب جام غضبه على الخيمة التي هي وصمة في جبين الانسانية ، والتي تشبه القبر او النغمة النشاز في سيمفونية الحياة ، وسكان هذه الخيام لا ينسون العز والسعادة التي كانوا فيها ، وهل يتأتى لهم ذلك وارضهم ، وحدائقهم ، وبيوتهم ، ومراتع طفولتهم ، وصباهم تطالعها اعينهم كل صباح ومساء ، وهم قابعون في حجورهم الرطبة المظلمة، ينتظرون ما يجود عليهم به اعداؤهم ممن اعانوا المغتصب ، وساندوه حتى سلبهم الكرامة والحق في الحياة والاستقرار ، لباسهم قصير فاكثره فضلات رثة مما تجمعه لهم مؤسسة اغاثة اللاجئين ، فاذا ما حل فصل الشتاء يذوى الاطفال كما تذوى الازهار في البرد والصقيع، والموت كالنسر الجائع يختطف الامهات والحبالى ، فكأنه الجفاف والجدب الذي يهلك الزرع ، ويأبى على الارض ان تخصب مرة اخرى والمقيمون في هذه الخيام لا يسأمون طلب العون ، والمساعدة من اخوانهم العرب.. ولكن العرب صرفهم عن ذلك الانقسام والتصارع على تفاحة الحكم التي القى بها بينهم المستعمر ، واغراهم بالتقاتل عليها ، كما سلب الجموع الراحة وارغمها على الركض خلف لقمة العيش فلم يدع لها من الوقت ما تسترد فيه انفاسها ، فتتجه ببصرها الكليل الى مصدر الاستغاثة لتغيثه ، وتخلصه :

وصمة انت في جبين الدهـور   يا خياما في القفر مثل القبـور
يا نشاز الانغـام ، يا سبـة التا   ريخ ، والناس في جميع العصور
انت سفـر الآلام سطرك البغـي   بابد ، مخضوبـة .٭ بالشـرور

والقصيدة تصوير ناجح ، لما يعانيه اللاجئون في خيامهم ، وما اكثر ما يمكن ان يلهم الفنان وجود مثل هذه المناظر الكئيبة امام عينيه ، خاصة بعد ان يعود اليهم من غربته يحمل لهم حنينه ، وحبه ، ومشاهداته للحياة السعيدة التي يحياها سواهم ، ومما يؤلم ان الكثيرين من ابناء هذه البلاد ينسونها ، ولا يشعرون نحوها باي تعاطف وجداني بمجرد ان يحصلوا على عمل يدر لهم ربحا في اي بلد آخر ، بل ربما يبخلون عليها حتى بمجرد المساعدة المادية اليسيرة ، وانصح مثل هؤلاء بالسفر اليها كل بضعة اشهر ليغسلوا قلوبهم من الادران الصدئة والتهالك المقيت وراء جمع المال واكتنازه ، وما اجمل ان يسعى ويجمع ثم يعود اليها الى امه الكبرى المريضة فيلقي بين يديها بكل ما جمع ... وللشاعر قصيدة وجدانية رقيقة هي « دليل » مكونة من خمسة مقاطع رغم ان قافيتها واحدة هي النون ، في كل مقطع يقدم لحبيبته دليلا على انها تحبه رغم تظاهرها ـ شأن النساء غالبا ـ بانها لا تحمل له مثل هذا الحب ، ويختم كل مقطع بهذا البيت الذي يشبه القفل في الموشحة الاندلسية :

فان لم يكن ذا دليل الفرام
فماذا يكون ، فماذا يكـون ؟

واعتقد ان تكرار فماذا يكون اجمل من قوله : فماذا يكـون .. الا تشرحين ؟. وثمة قصيدة اخرى كاد ان يحالفها النجاح لولا انه بتر عاطفته الابوية نحو ابنه منصرفا الى القاء موعظة طويلة عن الحياة ، والاشرار ، ونكبة بلاده استنفدت كل اجزائها .. هذه القصيدة هي الى « ابنـي نزار » والشاعر كثيرا ما يقيد نفسه ، ويشدها الى جزء صغير من التجربة يأخذ في مطه واطالته ، عاجزا عن تنمية هذه التجربة فقصيدته امي : كانت ستنجح .. لو انه عمل على تنميتها ، وفتح وجدانه بصدق ليغمس فيه قلمه ، ويلون جوانب لوحته ، ولكنه اكتفـى بهذا الزعـم البطولي الزائف الذي ورثه عن اجداده العرب باننا رضعنا البطولـة والفداء من ثدي امهاتنا . فالابيات الثمانية الاول تدور حول احساس واحد هو ان ذكراه لوالدته تزيل من نفسه الوحشة وتبذر بذور الامل ، والابيات كلها تصوير لوصيتها له بالبطولة والفداء والسلام التي حققها الشاعر ..

وفي اسلوب تقريري ساذج يقول :

لذلـك صرت عطوفـا رحيمـا   يمزق قلبـي انـين العفاة ..

وفي قصائده التي لا يدعها تنضج على نار هادئة يضطر لتلخيص افكار الاخرين ، والاستعانة بصورهم الشعرية كقوله :

وللكرامـة بـاب محكم غلـق   وليس غير الايادي الحمر تقرعـه

وهو كما نعلم صياغة رديئة لبيت شوقي :

وللحريـة الحمراء باب   بكل يد مضرجـة .. يدق

كما يكثر من الصور القديمة الباهتة التي فقدت ايحاءها من كثرة ما طرقت الآذان كقوله : بعزم شديد كعزم الاسود الخ ٭..

ويقول لابنـه :

فوصياتي اليك اما رأيت النـاس في هذه الحياة نمـورا
ان ترى كالهزبر لا يقبل الضيم ويستقبل العـدو فخـورا

وذوقنا الحضاري اعتقد انه ينفر من استعمال مثل كلمة « الهزبر » ومن الخطأ ان يظن شاعر كالاستاذ رجا سمرين ان كل ما استعمله العرب او جاء في معجماتهم يمكن ان نستعمله ، وننسج منه عباراتنا ، فلكل عصر ذوقه الخاص الذي يجعله يميت بعض الكلمات ويبعث او يخلق بديلا لها آخر او لا يلبث لها بديلا . فشاعرنا لا يهتم باختيار الكلمات المناسبة ، الكلمات التي تحمل شحنات نفسية والتي هي اقدر من سواها على جلاء الفكرة ورسم الصورة ، ولا محاباة بين ما نقول ، وما يقول به النقاد من انه لا يوجد قاموس لغوي خاص بالشعر دون النثر ، فكل الكلمات تصلح للشعر كما تصلح للنثر ، فالاختيار الذي نقول به هو القائم على الجرس وعلى صلاحية الكلمة للتفاعل مع جاراتها ، ولانها صادرة عن اختيـار وجداني لا اختيار عقلي .. فقوله مثلا في « نشيد الخلاص » :

سأمضي الى الانصاف والخير والبشر   الى العزة الشماء في همـة النسر

وتقودهم صوب التحرر من قوانين الطغاة كلمات نثرية جافة مكانهـا كتب القانون لا دواوين الشعر .. وديوان الشاعر قد صدر منذ ثلاث سنوات فالنسخ التي وصلتنا قد اكثر فيها من التصحيحات اللغوية بقلمه الخاص ، فالمجال امامنا ضيق للعثور على بعض هذه الاخطاء اللغوية او

العروضية وذلك لا يمنع ان نعثر له على خطأ لغوي او عروضي مثل :

فمتى تبلغ المراد مثلي يا بحر ليهنا الجميع بالخلان

ففي البيت خلل موسيقي .. وقوله :

والشباب الوثاب يغلي حماسا　　والصبايا تتوق للانجاد
سوف نأتيك كالنسور جموعا　　نملأ الجو والذرى والوهاد

ففي الوهاب خطأ نحوي لا تقره اللغة ولا يرضاه الشعراء ، وهو يفرط في المترادفات ، والضرورات الشعرية ، والكلمات الغريبة ، والاستعانة بقد ونون التوكيد ، وصيغة « مفعال » للمبالغة كملحاح ، والتصغير الذي لا حاجة اليه كقوله امة قد صحت بعيد الرقاد وعدم التجانس بين جرس الكلمات فبينما يقول ان النعيق الفظ يقول : ذاك الذي : يسكب في الآذان سما مذاب فالنعيق الفظ كلمتان تحملان رنينا مزعجا ، ثم يقول سما مذاب ، كلمتان خفيفتان لا يتلاءمان مع ما سبق .. ومما يحمد للشاعر روحه المتفائلة ، فانه بعد ان يسهم في هدم صروح الظلم ، يسهم في اقامة العدالة ونشر المحبة والسلام بين الناس ، والنصر ، نصر بلاده سيتم لان الشعب اذا صمم يبلغ ما يريد :

فحين يتم ذاك وليس شك　　بان الشعب يبلغ كل شيء

وبعد الخريف دائما يأتي الربيع فيبلسم الجراح ، ويكفكف الدموع :

لا تبتئس يا طائري انما　　بعد الخريف الجهم يأتي الربيع
يأتي ، فيأتي الخير في ركبه　　ويرتدي الروض لباسا بديع

ومثل هذا الشاعر الذي يؤمن بالخير ، والحب ، والسلام ، ويتوقع النصر لقوى الخير دائما يعيبه ان ينظر الى الانسان باني الحياة ، ومنشىء حضاراتها نظرة خوف وتشاؤم ، واعتقد ان هذه النظرة قد انتقلت اليه من قراءاته السلفية لما كتبه الاجداد دون ان يتسلح بنظرية متطورة للحياة يغربل في ظلها ما يقرأ ليختار الجيد وينبذ الرديء ..

من ذلك قوله لابنه :

سنة البطش منذ «قابيل» كانت　　لبني الارض بعده دستورا
دابهم في الحياة عسف ، وظلم　　لا ترى للضعيف منهم نصيرا
ان خيرا من خيرهم يا صغيري　　زهرة في الخلاء تهدي العبيرا

فغير صحيح مطلقا ان زهرة او هزارا خير من الانسان صانع كل ما في الحياة من خير ، وجمال .. وهو يردد مثل هذه النغمة النشاز في قصيدته « ولدي نزار » فالشاعر يسلح اولاده بالخوف والحرص منا نحن البشر وهل يستطيعون ان يعيشوا في جزيرة نائية عن الناس كما عاش « حي بن يقظان » او ربنسون كروزو دون ان يتفاعلوا مع الحياة والاحياء .. ومن حججه التي يحتج بها على الاغنياء اننا جميعا من تراب والى التراب نعود .. وهذه حجة سلفية خاطئة كسابقتها لا يمكن ان يقوم عليها بناء يصمد في وجه الفني . وهناك ادلة اخرى على التساوي يمكن ان يستدل بها لو قرأ ودرس وتسلح بالفلسفات الحديثة المتطورة*.

وما كنت اتوقع لانسان يعيش مأساة بلاده ، ويسهم في عملية البناء لتطوير الحياة ، ولاسعاد زوجته واولاده ، وبلاده ان يدعو الى الانحلال والسلبية ، واغراق هموم حياته في الكأس ، والخمر بدل مواجهة مشكلات الحياة بثبات وتغطية كما في قصيدته المتهافتة « انطلاق » التي يملؤها بمثل الملحاح « ومتحت في دلوي » وصحتها ومتحت دلوي ، والمياح الذي لا اعرف معناه .. كل ذلك لان القصيدة لم تصدر عن وجدان صادق ، او ايمان من الشاعر مما جعلها ترك وتسف هذا الاسفاف الواضح ...

وثمة ظاهرة تكاد لا تكشف عن نفسها ، وهي احدى حسنات الشاعر لو التفت لها ، واستفاد منها ، هي روح السخرية التي نمت عن نفسها في بيتين اثنين من ديوانه ، والتي لمستها بوضوح في شعره الاخواني الذي يتبادله تفكها وتسرية مع اصدقائه فهو يتحدث عن هزيمة فرنسا في الحرب العالمية الثانية مستغلا ما يوحي به لفظ «الهر هتلر» فيقول .

يعدو بنوها امام «الهر» من فرق　　في سرعة الفار حيث الهر يتبعه

وفي قصيدة « نشيد الخلاص » يقول :

ارادوا لهم ان يدفعوا صولة العدا　　باسلحة شوهاء ترتد في النحر
ويا لعنة الاقدار ثوري وزمجري　　ولا تتركي في العرب منحني الظهر

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

•

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩　Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩　Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

وفي ختام كلمتي اقول ان اخطر شيء على الشاعر هو جريه وراء الصور والتعبيرات التي تنسيه تجربته فحين جلس في حديقة الازبكية فتذكر حبيبته التي كانت تشاركه مثل هذه الجلسة نظم قصيدته « ذكرى » يذكرها فيها بالحديقة والنسمة المعطار والجدول الرقراق والذي اعرفه ان حديقة الازبكية خالية من الجدول الرقراق الا اذا كانت المياه التي ترش بها الحديقة جدولا رقراقا في خيال الشاعر ، ومن التاثيرات السيئة للقراءة ان الشاعر يرى في كل شيء مهما كان تافها ضارا مؤذيا جمالا وروعة ، الشاعر الذي ينفر من القبح والتشويه .. والذي جعله يردد هذه المغالطة ما كتبه الرومانسيون الذين تغنوا بجمال الطبيعة ، مؤثرين تفاهتها على اي شيء حضاري تتدخل فيه يد الانسان بالتهذيب والتشذيب ، وقد نقل لنا المنفلوطي فيما نقل هذه النظرة الرائعة للحياة في رواية « الشاعر » فيما اظن .. ونحن ننكر على الشاعر ابن القرن العشرين ان يقول :

نام الورى وانا مقيم ساهر   قلق يؤرقني فؤاد شاعر
لا يستسيغ حياته في عالم   قد حده للناس حس قاصر
في كل مجلى يجتليه فتنة   وملاحة تفري وحسن آسر
في المزن اذ تهميوفي غسق الدجى   والنوء والاعصار اذ تتناحر
في الفصنجرده الخريف من الشذا   والخصب في الازهار اذ تتناثر
في المهمة القفر الجوانب ما به   وحسن يصيح ولا هزار طائر

لقد ذكرني ذلك بما كتبه الاستاذ زكي عبد القادر في ليلة ممطرة وقد خرج بعربته يتمشى على شواطىء القاهرة لقد كان معجبا بحبات المطر وهي تنزلق على عربته ، والماء وهو يهز اسلاك الكهرباء ويغسل اعمدة النور ويتدفق على جانبي الطريق ، فهل كان يعجب بذلك لو اوى كالاف الاطفال في بلادي من قسوة البرد في اوعية الزبالة او مواسير المياه الواسعة في ميدان باب الحديد او تكوم مثلهم على القش ليحتموا باجسادهم البريئة الصغيرة من لذعاته القاسية ، قليل من القراءة الجادة ، والوعي الانساني ... يجعل الفنان اصدق تعبيرا عن قضايا الانسان العربي المعاصر .

القاهرة

كيلاني حسن سند

•

تمر حنة عجب

مجموعة قصص ـ تاليف محمود تيمور ـ ٢٢٤ صفحة ـ المطبعة النموذجية بالقاهرة

من المجموعات القصصية التي اصدرها في الآونة الاخيرة ، رائد القصة المصرية الاستاذ محمود تيمور ، مجموعة « تمر حنة عجب » التي تضم اثنتي عشرة قصة .

ومن القصص الجيد في المجموعة « حامل الاثقال ، من منا الوغد ، الانسان ، نداء الروح » . فالقصة الاولى تحكي فلسفة حمّال لبناني ، قضى حياته يحمل الاثقال لاهل قريته من البلدة المجاورة حتى انحنت قامته . ورغم ذلك فهو في يوم عطلته لا يرتاحه بل يعمله ، واذا لم يجد ما يكلفه به الناس وينفعهم في مثل هذا اليوم ، كلف نفسه بحمل الحجر الذي لا فائدة منه لاحد ! وتعليله لذلك انه بظهره المتقوس « ما انا بمستطيع ان ارفع هامتي واسير مستقيم العود كما يسير الناس ، وظهري يتطلب مني ان احمله ثقلا هو عندي بمثابة صنجة الميزان ، به يتوازن جسدي ، واطمئن في مشيتي ، وبدونه اعيا ، واكاد على سفح الجبل اتهاوى » ! واذا كان راوي القصة يذهب الى ان حمل الاثقال من طبيعة الانسان يحيا به وان ارهقه ، لانه سبب من اسباب ما نطمح اليه من سعادة واطمئنان ! فيمكن ان يفسر ايضا بانه رمز لتقديس العمل .

والاستاذ تيمور يميل دائما الى الاشادة بالعمل ، كما في قصة جيدة اخرى هي « الانسان » التي تعالج مشكلة رجل عجوز اصابه المرض في ساقيه فاقعده ، واهمله تماما اقاربه واصحابه والناس ، فحقد على البشر جميعا واسود قلبه ، وانزوى في حجرته على السطح لا يغادرها . وتصادف ان كان هناك موكب يحتفل بعيد الشباب يمر في الطريق ، فتحامل الرجل على نفسه وشاهده ساخرا منه حانقا على اصحابه ! واغرته الشمس الدافئة ، فاسند ظهره الى الحائط وجلس ، واذا به يرى اسراب الحمام في السماء في نشاط وحيوية تتم دورات لها في دأب وكانها تقوم بواجبها في الحياة ، ويسقط على السطح من السرب طائر صغير لم يقو جناحه على الجهد المستمر ، فاسرع الرجل اليه ببعض الطعام والشراب حتى استرد قوته وعاود طيرانه مع سربه ، الذي كان لا يفتأ يحلق فوقه وكانه يشجعه على المقاومة ويدعوه الى التحليق ثانية .

ويصيب الرجل ما يشبه الصدمة الكهربية ، لقد عرضت له تجربة الطير ما يجب الا يغيب عن الانسان ابدا .. انه جزء من كل وان الحياة تحتاج الى جهده كما يحتاج هو الى العمل ، وخاصة في لحظات ضعفه لينجو من اليأس وخذلان النفس . وهكذا عندما عاد ركب الشباب ثانية ، اسرع الرجل الى عكازه الذي هجره طويلا ونزل الى الطريق مشتركا في الاحتفال مرددا اهازيجه !

وتؤكد « من منا الوغد » احدى القضايا الادبية الهامة بطريق غير مباشر ، وهي ان عظمة الفن ليس في ابتكار الموضوع وتصيد غريبه ، بقدر ما في تناوله ذاته . فهذه القصة تعرض موضوعا عاديا .. الثالوث غير المقدس ، الزوج والزوجة والعشيق . ورغم ذلك فقد كان لبراعة قاصنا الكبير في عرضه وتعميقه وتحليل بواعثه ، اثر كبير في تجسيد شخوصه على مسرح الاحداث . فالزوج الاستاذ الجامعي الذي تزوج طالبة بعد قصة حب ، يستهويه جمع المال . ولما كان مرتبه محدودا فقد عجز في البداية عن ان يبلغ برصيده في البنك ما يطمع . والزوجة الحسناء كانت تهفو الى حياة الترف ولكنها كتمت مطمعها حتى يكثر المال في يد زوجها . اما الطرف الثالث فكان زميلا للزوجة في الجامعة ـ في كلية اخرى ـ واعجب بها ، لكنها صدته ثم تزوجت فلم تعد تراه . ويظهر الاخير ـ القصة لا تعطي لشخوصها اسماء ـ بعد سنين قليلة وقد كثر المال في يده ، بعد ان فشل في دراسته . ويتردد على الزوجين ، ويبهرهما بهداياه الثمينة ، فيتجاهلان اشمئزازهما منه . وتتابع مظاهر اغداقه عليهما ، فيلتصق بهما اكثر وتنزلق الزوجة . ويشعر الزوج شعورا واعيا بما حدث ، وتتجمع ثورته ويطالبها بالاعتراف فترفض ، وفي ثورة ذلته وغضبه يقتلها !

وتتعمق « من منا الوغد » جوانب كثيرة من المأساة التي عاشها ابطال القصة ، مثل مواجهة الزوج الامر بتبلد ذهن وخمول احساس ، وافتقار الزوجة الى من يعينها في مقاومتها . ومن هذه اللمسات ايضا ، هذه اللمسة الدقيقة والزوج يوجه الحديث الى امراته وهي جثة هامدة والقصة كلها حديث اليها بعد موتها : « ولكن هناك يا صغيرتي المسكينة امرا غاب عنك ، امرا لا تستطيع اية امرأة في الوجود ان تستره مهما اوتيت من صلة ومهارة . هذا الامر هو ذلك « البريق » الذي تتضوأ به عين المرأة عند وقوعها في الاثم !... انه توهج الغريزة النسوية في عنفوان يقظتها وعربدتها واستمتاعها بالحب المحرم ! ذلك « البريق » شهدته في عينيك يتوقد .. ويومئذ برح الخفاء وانكشف الغطاء ، ولم يبق الى طمانينة نفسي من سبيلي .. » (ص ٩١) .

اما « نداء الروح » فقد عرض المؤلف فيها لشخصية زوج عجوز مستبد اذاق زوجه الشابة الهوان ، حتى ماتت بائسة حزينة بعد سنوات قصار . ويصور تيمور ما استشعره الرجل من الفراغ الذي تركته عطيات والذي يثير اشد الوحشة والضيق ، هذا الفراغ الذي لم يكن مبعثه الحب ، بل ما كانت تشغله الزوجة من اكبر حيز من نشاطه الاستبدادي!

ورويدا رويدا يدرك الرجل مقدار اساءته اليها ، رغم حبها له وتفانيها في خدمته . ويعرف انه خسر قلبا لا يمكن تعويضه ، ويتملكه الحزن ، وكانه في محاولة للاعتذار ياخذ في الحديث الطيب عنها مع حاضنتها ، ويبعث ذكرها في نفسه ايضا بما كانت تحبه من اشياء .. وتسوء حال الرجل وهو يزداد انغماسا كل يوم في استحضار شخص زوجه ، حتى ينتهي به الامر الى ان يرقد معها في قبرها نادما مستغفرا !

وتحتوي المجموعة غير ما ذكرنا من قصص على : « تمر حنة عجب » التي حمل الكتاب اسمها ، وهي تقص عقوق راقصة لاستاذها الذي علمها فنها واحبها ، والمصادفة التي كررت معه لقاء آخر لصبية مثل صاحبته السابقة ، ياخذ في تدريبها وتعليمها وحبها ايضا !

و « العجل وقع » قصة ثري قروي بخيل ، يبني مسجدا ويستكثر ان يفتتحه بذبيحة تنحر على بابه . و « الزناتي خليفة بقرش ونصف » وهي عن محاولة صبي بائع كتب قديمة يبيع شيئا من بضاعته . ونجاحه في ذلك آخر الامر ، وتحقيق امنيته في ارتشاف زجاجة غازوزة ! و « حورية البحر » التي تحكي شغف شاب صغير بقصة حورية البحر ، واستبداد فكرة الالتقاء بها بعقله ، حتى اردته في النهاية . وكأن المؤلف يعكس في هذه القصة ، تعايش المواطن المصري لهذه الاسطورة الشعبية ! و « انا الشريد » تعرض لمغالاة شاب في مثاليته ، منكرا ابعاد واقعه ، حتى تضطرب احكامه عليه ، فيعيش حياته قلقا شريدا . و « ليلة انس » وتتناول تحول زئر نساء ، الى طريق الاستقامة بفضل سذاجة فتاة على شك الانحدار ! وتحكي « فلنبدأ الحياة » قصة « فتنة » الصبية التي توفي عنها والدها الغني بلا عائل ، يقوم على شانها مربية قاسية ومحام يرعى مصالحها ، والذي ينقلب عطفه عليها الى حب غامر يدفعه الى انقاذ الفتاة الصغيرة من الحياة الكئيبة التي تضطرها اليها المربية مدام شفاليبه ، منتهزة قلة حيلة الفتاة وحزنها المقيم على خطيبها الذي مات منذ ستة اشهر ، في غمسها في جو الذكريات الحزينة المقبضة المعتمدة على رسائل الخطيب الى فتنة . ويقوم صراع بين المحامي والمربية يفشل فيه العاشق في الجولات الاولى ، ويسقط في يد شامل ـ المحامي الشاب ـ الذي لا يجد بدا في النهاية من تنفيذ فكرة الحت عليه طويلا ، وهي حرق القصر الكئيب الذي تتقوقع فيه الفتاة .. مؤمنا بان الضمير الانساني يبيح للمرء ان يقترف جريمة لانقاذ انسانة معذبة !! ويفعلها منقذا الفتاة ! ومن اجمل لمسات هذه القصة ، تصوير سلبية الفتاة المسكينة وضعفها وانسحاقها وتشوقها الى من ياخذ بيدها .

لست ادري هل لعمر القاص دخل كبير في انتقاء شخوصه . فهو يختار اكثرها مما تقاربه سنا ، لانه الصق بالمرحلة التي تمر بها واعلم بتكوينها النفسي من غيرها . ام ان الامر لو حدث لا يعدو ان يكون مصادفة ؟! يعرض هذا التساؤل لقارئي « تمر حنة عجب » ، وهو يجد ان الشخصيات المتقدمة في السن هي الغالبة ، ويندر ان تخلو قصة منها ! فما اكثر الشخوص اصحاب الوجوه المغضنة والرؤوس التي وخطها الشيب ، سواء هؤلاء الذين يحتلون الادوار الرئيسية او الثانوية في المجموعة !

والوحدة سمة اخرى من سمات المجموعة ، يالفها ويرتاح اليها الكثير من الشخوص . وهي احيانا تبدو ضرورية ازاء ضوضاء المدن وعجلاتها الطاحنة ، كما في « حامل الاثقال » « حقا ما احوج الانسان في بعض الاحيان الى الفرار من خلق الله ! » (ص ٤٢) . واحيانا تكون الوحدة « مرضية » نوعا من الوحشة كما في « فلنبدأ الحياة » حيث تفزع الفتاة الوحيدة ، المنكوبة في خطيبها وابيها ، من الحياة خارج البيت . وتتخذ الوحدة احيانا اخرى ثورة على قيود المجتمع كما في « الطائر الطليق » ، او يأسا من اصلاح هذا المجتمع كما في « انا الشريد » .

وعشق الطبيعة سمة ثالثة في « تمر حنة عجب » ، فاجتلاء مباهجها وخاصة في الاصيل والمساء ، يكاد ان يكون لونا من التعبد والتهجد ، يعبر عنه باخلاف وحب حقيقي. وفي بعض قصص المجموعة نجد الطبيعة تاخذ لونا اخر ، فتبعد عما يمكن ان يكون سلبية اذا صح هذا التعبير ، او بلفظ اخر لا تكتفي بان تكون شيئا يروح عن النفس وتسلية ، بل تحاول ان تلقن الانسان درسا بكائناتها غير الناطقة ، كما في قصة « الانسان » . فسرب الحمائم يطير ولا يفتأ يطير ، وكلما اتم دورة بدأ دورة اخرى من جديد ، وكانه يريد ان يتم عددا من الدورات كاملا .. « ان لكل كائن في هذا العالم الفسيح دورات يؤديها في طوع واختيار ، ومن مجموع هذه الدورات متوافقة مترابطة تتالف الدورة الكبرى لهذا الكون العريض » . لقد قدمت الطبيعة هذه الحقيقة التي غابت عن بطل القصة الذي لم يقاوم مرضه ، فشل حركة نفسه كارها الحياة والاحياء .

ولمحمود تيمور اهتمام بالدقائق الصغيرة ، او ما يسمى بالفتات .. وهي الاشياء الضئيلة ، والهامشية احيانا التي لا تذكر الا عرضا وتمر مرا سريعا ، ورغم ذلك فقاصنا الكبير يلتفت اليها ولا يهملها ويعطيها من عنايته ما يحولها من كم مهمل او كالمهمل ، الى لبنات جد صغيرة نعم ولكنها نافعة تضفي ملامح ذات دلالة . مثل ذعر كحل العين في « تمر حنة عجب » وهو يرجع الى منزله ليلا حاملا طعامه ، من قطط الطريق التي تتبعه ، واطلاقه الصيحات يبعدها عنه ! ولعل السيد شملول الصواف في « العجل وقع » لفنجان القهوة ! « يتصيد باصبعه البنصر ما رسب من البن في قاع القدح ، وما تعلق بجوانبه . وما زال يمعن في التصيد واللعق ، حتى غدا القدح يلتمع من النظافة لا يحتاج الى ان يغسله احد ... » ! (ص ١٤٣) .

ولا تخلو مجموعة تيمور هذه من استخدام الرمز في اكثر من قصة . كما في « الطائر الطليق » التي تقص محاولة انثى التحرر من كل القيود التي تكبل بها الحضارة الحديثة انسان هذا العصر ، فتنزح الى جزيرة نائية وتتمتع بعيش طليق . وياتي رجل يفجر غريزتها المكبوتة وتسعد باتصالها الجنسي معه ، ولكنها تحس بعد قليل ان هذه العلاقة تحولت الى شيء اخر ، وانتقلت من جنس الى غرام يحاول استعبادها . وتدرك انها وقعت في اسر جديد ، فتهجر جزيرتها مفضلة اهون القيدين .. قيد المجتمع !

المنصورة — **علاء الدين وحيد**

الدهنية . لقد زار احد معاونينا منغوليا . ان سكان هذا البلد يستهلكون بكمية كبيرة الشحوم والآحينات الحيوانية ، ومع ذلك ، فانه لم يعثر في دم السكان على زيادة ملحوظة لمحتوى الكوليستيرين . ولا يعاني المنغوليون ميلا للاصابة بتصلب الشرايين . وفي اولان باتور عاصمة منغوليا، تقل نسبة داء الذبحة الصدرية عشر مرات عنها في موسكو .

قدم مؤخرا احد العلماء الايطاليين نتائج ابحاثه على رعيان شرق الصحراء الكبرى . وهؤلاء يستهلكون اغذية شديدة الشحم ، ولكن لا يظهر عليهم اي ميل للذبحة الصدرية .

كل هذا يبرهن على ان القضية اكثر تعقيدا بكثير مما تبدو . ونحن نقتنع اكثر فاكثر بأن داء تصلب الشرايين يعود ، بصورة خاصة ، الى توتر عصبي شديد للجهاز العضوي . وهو اكثر تواترا عند الرجل منه عند المرأة (نتيجة لتأثير عامل الغدد الصماء) . لكن النساء اللواتي يعملن في ميدان العلم يعانين داء تصلب الشرايين بصورة متواترة كالرجال . والشغيلة اليدويون اقل اصابة به من العاملين المثقفين. وتبين هذه الابحاث ان الداء مرتبط بآليات التهيج العصبي . لقد حصلنا تجريبيا ،بالتأثير العصبي ، على اشتداد كبير لتصلب الشرايين.

ويعتقد الاطباء العياديون السوفياتيون بان داء الضغط الشرياني وتصلب الشرايين هما مرضان ناتجان عن توتر عصبي مفرط . ولا شك انهما لا يظهران عند جميع الاشخاص المصابين بالاجهاد . ان الوراثة تلعب ايضا دورا كبيرا في هذا المضمار .

ان الامراض السابقة تنعكس كذلك على الجهاز العضوي . فاذا كان شخص قد اشتكى من داء الكليتين او من اضطرابات في جهاز الغدد الصماء ، فانه اكثر تعرضا للاصابة والتجارب تؤكد ذلك ، يمكن ان يستثار عند الجرذان ضغط شرياني ذو منشأ عصبي. لكنه يجري التأثير مسبقا على كلي الحيوانات فان داء الضغط الشرياني يتقدم عندنا اسرع بكثير .

نحن لا نرد اذن تطور هذا الداء فقط الى العامل العصبي . بل يوجد كذلك عناصر اخرى ، تتطلب الدراسة كعوامل حاسمة ومكملة .

لقد صيغت في الآونة الاخيرة طريقة منهجية لمعالجة داء الضغط الشرياني . ولدى مقارنة ما كان يلاحظ منذ عشر سنوات وما يرى اليوم نجد ان هذا الداء قد فقد طابعه الماكر ، واختفت اشكاله الخبيثة . والشفاء لم يكن يسجل ، في السابق ، الا في المرحلة الاولية من الداء . اما اليوم ، فان الشفاء ، المؤقت على الاقل ، يلاحظ في المرحلة الثانية من الداء ، في ٣٠ بالمائة من الحالات حتى الآن .

في كلمات...

● ذكر طبيب بريطاني ان رجلا بين كل ٢ رجال يتعرض لخطر الاصابة بتخثر الدم في الاوعية عندما يصل الى اواسط العقد الخامس من عمره . وقال الدكتور كنيث فيكري ان عمليات التشريح اظهرت ان معظم الناس يصابون بانحباس محدود . تدفق الدم وهم في اوائل العقد الثالث من العمر . وكتب الدكتور فيكري يقول في مجلة طبيب العائلة التي تصدرها الجمعية الطبية البريطانية انه يجب ان يتجنب الشبان زيادة الوزن بعد اكتمال نموهم في اوائل العقد الثالث من العمر ويجب الا تسرف الامهات في أطعام اطفالهن . وانحى باللائمة على قلة التمرين وزيادة الاكل في وقوع اصابات مبكرة بالنوبة القلبية . وقال ان الدراسات الاخيرة اظهرت ان ازدياد الاجهزة التي تخفف من المجهود المنزلي قد رافقها ارتفاع في الاصابة بتخثر الدم بين ربات البيوت .

● انشئت في قسم التصوير بالاشعة في مستشفى ميدلسكس اللندني الشهير محطة تلفزيونية مغلقة لفحص الشرايين القلبية والمسالك البولية وكل ما يتعلق بالكلى ، بالاشعة . وتوضع آلة الاشعة تحت المريض ثم تلتقط الكاميرا التلفزيونية الاشعة بعد اختراقها جسم المريض وتضخمها . ومن فوائد هذا النظام الرئيسية امكان عمله باشعة ضعيفة ، وهكذا يتلقى المريض اثناء الفحص الطويل مقدارا من الاشعة اقل بكثير من المعتاد . وتمكن المحطة الجراح الذي يقوم بالعملية من ان يرى على شاشة التلفزيون حقيقة ما يفعله في اية لحظة يشاء . وعلى شاشة ثانية يستطيع ان يرى صورة لقلب المريض مع معدل تنفسه ونبضه . وقد تم تركيب شاشات اخرى في كلية الطب التي تبعد كثيرا عن المستشفى وذلك كي يتمكن اي عدد من طلاب الطب من مراقبة الفحص دفعة واحدة .

● تبين لمستشفى الاطفال في بريمن ومستشفى الاطفال في نوردرناي وقسم الاستشارات الطبية المتريولوجي الالماني بباد تولب في ١٠٩٠ اصابة من اصابات الحمى القرمزية من عام ١٩٥٦ الى ١٩٦٠ بان لهذا المرض علاقة وثيقة بالاحوال الجوية . فقد وجد بان عدد اصابات الحمى القرمزية يرتفع عند ظهور الطقس الذي ترتفع فيه درجة رطوبة الهواء الحار . هذا كما لوحظ بان البرد يعمل على تقصير المدة بين عوارض الحمى القرمزية الاولى وظهور المرض، وان الحر يطول هذه المدة .

● تم في بريطانيا ابتكار مبضع جراحي جديد شبيه بقلم الرصاص يعتمد الحرارة البالغة الانخفاض في جراحة الدماغ والعين اي ازالة القرنية والماء الزرقاء والسوداء وكذلك ازالة الشامات على الوجوه والثآليل وغير ذلك من النتوءات الجلدية البارزة . وتستخدم هذه الآلة المدهشة في زرع القرنية والعدسة وسيكون لها مستقبل عظيم في جراحة التجميل وتقوم تكنية الالة المذكورة على اعتماد حرارة بالغة الانخفاض تصل الى ١٢٠ درجة مئوية تحت الصفر . فهي تجلد الانسجة المريضة حتى تميتها كما يجري في بعض جراحات الدماغ . وفي امكان الطبيب ان ينتزع الاجزاء العليلة من الدماغ دون تمزيق الانسجة المجاورة او عطبها .

● لا تقلق من معدل الكولستيرول في دمك فانه لن يقتلك حتما . تلك رسالة من معهد كورتولد اللندني المختص بالكيمياء البيولوجية حيث كان العلماء يدرسون العلاقة بين معدل المواد الدهنية في الدم التي هي المصدر الرئيسي للكولستيرول وبين امراض القلب اي الجلطة الدموية او انسداد الشرايين التاجية. ومعنى ذلك ان هذا الداء هو اكبر سبب للوفاة في الطبقات الاجتماعية ذات المستوى الحياتي الرفيع . لقد كان الاطباء فيما مضى ينظرون الى ارتفاع معدل الكولستيرول في الدم كشيء خطير وغير طبيعي . كما ان شركات التامين وضعت لوائح لبيان معدلات الكولستيرول لدى الاشخاص كي تحدد معدل الاقساط المالية التي يترتب على الشخص ان يدفعها للتامين على حياته فيها . وهذا المعدل مستند مقداره وكميته الى نسبة الكولستيرول في دم الانسان طالب التامين . واظهرت ابحاث معهد كورتولد ان هذه اللوائح والبيانات حديث خرافة ولا معنى لها قط اذ ان امزجة البشر وطبائعهم وخصائص اجسادهم اشياء متباينة متفاوتة لا تخضع لقياس معين او قاعدة حتمية واحدة يمكن تعميمها على جميع الناس . فقد يعيش انسان ويعمر طويلا وفي دمه معدل عال من مادة الكولستيرول حين ان انسانا آخر لا يوجد في دمه سوى معدل منخفض عن المعتاد من هذه المادة قد يشكو من مرض الشرايين التاجية المميت القتال . وبكلمة اخرى لا يعرف الاطباء كم يلزم من الكولستيرول في الدم لقتل انسان الى ان يموت . وعند ذاك نكون قد تأخرنا في معرفتنا اي ان معرفتنا هذه جاءت في غير حينها النافع او المجدي لانقاذنا .

● شرعت في بريطانيا احدى اللجان الحكومية في جمع المعلومات للاستدلال منها عما اذا كان لاقراص منع الحمل صلة بالذبحة الصدرية ، وذلك بعد وفاة مسز سنيثيالي (٢٢ سنة) والاشتباه في وجود مثل هذه الصلة ، لان هذه خامس حالة منذ ابريل الماضي .



رد على نقد كتاب « العرب في صقلية »

نشرت مجلتنا الغراء « الاديب » في عددها الماضي تعليقا على كتابي الصادر في القاهرة في يونيو ١٩٦٥ « العرب في صقلية واثرهم في نشر الثقافة الاسلامية » ، وهو البحث الفائز بالجائزة الاولى في مسابقة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

وقد ابدى كاتب التعليق الاستاذ حسن محسن ملاحظات بعضها يمدح الكتاب ، وبعضها ينثر في الطريق علامات استفهام قليلة . ويسرني في مستهل حديثي ان اشكر السيد المعلق على الملاحظات بنوعيها ، على حد سواء ، ثم لا ارى بأسا بعد ذلك في ان استأذنه ، فاتناول ملاحظاته بالمناقشة . ولكني اسرع فانبه الى ان طريقة طبع الكتاب انحرفت به قليلا عن التخطيط الذي وضعته له ، والذي قسمت فيه البحث الى قطاعات متعددة .

وقد كانت اولى ملاحظات الناقد ، على المنهج ... فقد عرفت بصقلية والصقليين في ثلاث صفحات ، ثم تناولت التراث الحضاري بوجوهه المختلفة ، في خمسة قطاعات .

ولكنه يرى ان البحث ذو شقين ، فكان علي ان اوفي البحث في صقلية والصقليين حقه من التعريف . ولكني اتساءل ـ بدوري ـ الم تكن القطاعات الخمس حديثا عن صقلية ومظاهر تقدمها ، وعن الصقليين ومظاهر نشاطهم ؟.. ألم اتناول « الحكم والحكام ، وما دار بين العرب والنورمان » ؟.. لقد آثرت ان ابتعد عن السرد التاريخي ، فاكتفيت بالتعريف الموجز اولا ، ثم ركزت اهتمامي على نشاط المسلمين في ذلك الحين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فلعل السيد المعلق يعلم ان ابحاث المسابقات يشترط فيها دائما كم محدد من الصفحات ، وهو الذي فرض علي ان اكثف الحديث عن الجزيرة واهلها .

وهو يرى ان الحق الجانب السياسي والاداري بالحديث عن صقلية والصقليين ، ولكني ، كما قدمت ، ركزت انطلاقي في خمسة مجالات تغطي في جملتها التعريف بصقلية واهلها ، وحضارتهم ، ونشاطهم ، وتأثيرهم.

اما ملاحظته عن اشارتي للاتجاهين الشائعين في الشعر ، وهما : الاتجاه الزاهد ، والاتجاه الجائع ، فقد كان حديثي عنهما اشارة عابرة في معرض الحديث عن الادب بعامة ، وانا مقيد بصفحات محدودة منها ثماني صفحات ، فاكتفيت بالاستشهاد بقول الشاعر :

لو قيل لي اي شيء تهوى لقلت خلاصي
الناس طرا أفاع فلات حين مناص

كما قلت في ص ١٤ ان « الذي يهمني هو الاثر البيئي ، والمستوى الفني لدى كل شاعر » ، ثم ركزت الحديث حول شاعرين هما : ابن الخياط ، وابن حمديس ، ثم قلت في ص ١٥ « والذي يهمني بعد ذلك كله هو الاثر الفني الذي تركه الشعر الذي ارتفع صوته بين الشعر اليوناني واللاتيني » .

تبقى بعد ملاحظة اخيرة يتساءل فيها المعلق بقوله : هل الفقه وعلم الكلام عندي سواء ، ولكن هنالك فرقا ادركه بين الفقه كمادة تعالج الشريعة الاسلامية من حيث العبارات ، والمعاملات ، والاحكام ..الخ ، وعلم الكلام الذي يتناول الابحاث التي كثر تداولها على ألسنة علماء الكلام ، ومن اجلها سمي بهذا الاسم ، وهي تنطلق في منطلق لا يشبه الانطلاق السابق الا في ان كليهما يبحث في الاسلام . ومبعث تساؤله ـ فيما يرى ـ انني اوردتهما تحت عنوان واحد ، وخصصت الحديث بالفقه فقط ولكن اما كان اجدر بالسيد الناقد ان يدقق النظر في اسفل ص ٤٥ ، قبل ان يطويها ؟ لقد اشرت الى ابن جعفر القصري ، وكتابه « تجديد الايمان وشرائع الاسلام » ، واشرت الى ما تضمنه من حديث حول المعجزات ، كما اشرت الى ابن ظفر الصقلي ، وكتابه «سلوان المطاع » . ويبقى بعد ذلك ان كثيرين لم يتخصصوا ، فجمعوا في ابحاثهم بين كتب في الفقه ، وكتب في التوحيد ، والعقائد .

ومع ذلك كله ، فان الشكر لجدير للاستاذ حسن محسن ، الناقد الشاب ، الشكر لاهتمامه بالكتاب وقراءته الواعية له ، والشكر على ملاحظاته بنوعيها على حد سواء .

القاهرة — يوسف حسن نوفل

•

الى الاستاذ عبد الكريم غلاب

في غمرة المشاغل والمراجعات والتجارب والاصول ، التي لا تنتهي ، وفي ظل الصعود الى القلعة لمراجعة الصحف القديمة في دارها ، وبين مكتبة معهد الدراسات العربية في جاردن ستي ، وبين دار الكتب في باب الخلق ، ومكتبتي في الهرم لا استطيع ان انسى ان اكتب اليك كلمة اسدد بها لك بعض الدين ، دين الادب والفكر ، حقا ، فاني مدين لك في عملي الكبير الذي يظهر هذا الاسبوع في دراسة ضخمة في ٥٠٠ صفحة عن « الفكر والثقافة في الشمال الافريقي : ليبيا وتونس والجزائر والمغرب » .

فانت يا اخي وقد بذلت جهداً ضخما في سبيل هذا العمل كان حقا لي ان اذكرك ، ايها الكاتب النابه والصحفي العريق الذي يرأس تحرير جريدة العلم ويكتب في الصحافة ، دون ان ينسى فنه ، ويشارك في عشرات من وجوه النهضة الفكرية والثقافية ، وبينما نسمع محاضرته عن الغزو الفكري في مؤتمر الادباء في العراق ، نراه في الاندلس جائلا ، او في القاهرة او في امريكا او فرنسا ، شعلة نشاط وروح من الايمان بامته العربية وفكرها ، عريق اصيل في ايمانه ، باصالة الفكر العربي الاسلامي ومنابعه ، وهو منذ عشرين عاما لا يكف عن الدراسة فما من مجلة من مجلات المغرب الا وهي مصدرة بانتاجه ، واثاره الى مؤلفاته الثرة الخصبة : نبضات فكر ، صحفي في امريكا ، الاستقلالية : عقيدة ومذهب ، وآخر مؤلفاته التي وصلتني « في الثقافة والادب » وهي دراسة عميقة للادب العربي المعاصر في المغرب من خلال ابحاث يبدو فيها طابع العرض العلمي الرائق ، والايمان الراسخ بالحرية ، والمعالجة الصريحة الكاشفة لعلاقات الفكر العربي في المغرب ، بالثقافة الحديثة والحضارة الغربية ، الى نظرات واسعة حول الالتزام والادب والفلسفة وانسانية الادب ومصير الشعر ... الخ

وكلها تعطي صورة باحث على مستوى قضايا الفكر والادب والثقافة في العالم العربي ، وعبد الكريم غلاب نموذج من هذا الصنف الذي عرفته مصر في الثلاثينات من حيث القدرة على الجمع بين العمل الصحفي والعمل الادبي دون ان يطغى احدهما على الاخر ، فهو في مجال الدراسة الادبية باحث متأن متعمق رحيب الافق ، وليس في عمله الصحفي اقل من ذلك ، فهو وطني مؤمن بالحرية والوحدة العربية ، وصحيفته « العلم » من ابرز الصحف واقدرها على خلق مدرسة من اليقظة الفكرية والوطنية ما زالت بعيدة الاثر في اجيال الشباب وقد تخرج عبدالكريم

جولة الأديب في شهر

السياحة في لبنان : صناعة من صناعات القرن العشرين

في عام ١٩٨٠ سوف يتجاوز عدد السياح في لبنان عدد سكان البلاد .. تلك هي تقديرات السلطات اللبنانية المختصة .

ومعنى ذلك ان تجهيزنا السياحي يجب ان يتيح لنا ، في مدى خمسة عشر عاما ، استقبال مليوني سائح ، ومصطاف عربي واجنبي ونصف المليون في اقل تقدير ، وهو رقم ضخم بالنسبة لبلد تبلغ مساحته عشرة الاف كيلومتر مربع ، مرتبط بشبكة واسعة للسياحة الدولية .

ومنذ اقل من خمسة عشر عاما (في عام ١٩٥١) استقبل لبنان واحدا وخمسين الف زائر اجنبي ، وفي عام ١٩٦٤ استقبل ٤٧٢ الفا .

وفي هذا العام سوف يتجاوز عدد الزائرين نصف المليون ، ذلك لانه في خلال الشهور الستة الاولى ، وهي من ادنى الفترات اقبالا ، بلغ عدد السياح ٢٤٨ الفا .

غير ان لبنان ، بفضل موقعه الجغرافي الفريد ، على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، وعلى عتبة اسيا ، يستطيع ان يقدم للسياح ، المشوقين دوما الى الاجواء ، والمناظر الجديدة ، وجوها من النشاط جديدة . وعلى هذا يجب ان تتقدم السياحة اللبنانية ، وهي اولى الصناعات الوطنية ، وتتطور باسرع ما يمكن لتقوم بدورها المرتقب في التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية .

وفي وسعنا منذ الآن ان نتبين اتجاه هذا الميل الى التطور الذي ينهض به المجلس الوطني للسياحة ، وهو تطور يهدف الى استثمار هذه الامكانية المزدوجة : سياحة الشاطىء ، وسياحة الجبل ، استثمارا واسعا ، منتظما .

وباقامة مهرجان بعلبك الدولي ، الذي يحتفل هذا العام بعيده العاشر نجح لبنان في احلال بادرة ممتازة على صعيد السياحة العالمية . ولكن هذا المهرجان لا يمكن ان يؤدي وحده الى توسيع الوثبة التي تحققت ومن هنا تتجلى الضرورة المزدوجة الى تجهيز الشاطىء ، والى اصلاح ، واعداد المواقع الجبلية ، وفي مشروع السنوات الخمس الذي وضعته الحكومة ما يشير الى ذلك .

المسابح الشعبية :

ومن اهم نقاط هذا المشروع اقامة مسابح شعبية على طول الشاطىء . وسوف يفتتح منذ عام ١٩٦٦ مسبحان من هذا النوع ، احدهما في بيروت والثاني في طرابلس . وسوف تتوفر في هذين المسبحين المفتوحين للجمهور مجانا جميع الخدمات التي يتطلبها السابحون ، من حجرات لخلع الملابس ، وحمامات (دوش) ومستوصف للاسعاف الدولية ، كما سوف يسهر على سلامة الزبائن معلمو سباحة مجازون . ومن ناحية اخرى اوشكت مديرية التنظيم المدني في وزارة الاشغال العامة على انجاز مشروع عام لتجميل الشاطىء . ولتحقيق هذه الغاية الفت لجنة برئاسة السيد فؤاد البزري تضم خبراء مديرية التنظيم المدني ، لتبدي رأيها بشأن المشاريع التي اعدتها وزارة الاشغال والتي يمكن ان تكون لها فوائد سياحية .

وينص المشروع العام خاصة على منح رخص لبناء فنادق مجموع غرفها الفا غرفة . وجدير بالذكر في هذه المناسبة ان فنادق مجموع غرفها الفا غرفة ، تبنى الان في انحاء مختلفة من الشاطىء ، وان شركة تبني موتيلات بالقرب من نهر الكلب ، قد اجرتها قبل ان يتم بناؤها الى شركات سفر وسياحة مختلفة . وفي الوقت نفسه تستمر الدراسات لانشاء مؤسستين فندقيتين كبيرتين بين طرابلس وصور ، برؤوس اموال لبنانية – عربية . وتضم اولى هاتين المؤسستين ١٠٠٠ غرفة ، وتضم الثانية ثمانمائة غرفة ، وسوف تتولى الاشراف عليهما ادارتان عالميتان ذائعتا الصيت .

وهناك مشروع آخر من اطرف المشاريع ، ذلك هو مشروع تجهيز الجزر الصغيرة الخالية من السكان والمواجهة لطرابلس ، تجهيزا سياحيا . ويقدر ان تنفيذ هذه المشاريع التي سوف تنفذ بتعاون القطاعات العامة ، والخاصة ، يقتضي توظيف ما يزيد عن مائة مليون ليرة لبنانية .

اطلاق الحركة السياحية :

غير ان تجهيز الساحل هذا التجهيز الواسع ، يخشى ان يؤدي الى ازدهار سياحة الشاطىء على حساب المراكز الجبلية ، ومن هنا نشأت فكرة استثمار الموارد السياحية للقطاعين في آن واحد .

وتقتصر عمليا السياحة الجبلية، ما عدا مراكز الرياضة الشتوية كمركز فاريا ، والارز ، واللقلوق ، على اشهر الصيف الثلاثة . ومنذ بداية تشرين الاول ، تقفر مراكز الاصطياف من روادها ، وتغط في مثل السبات، طول شهور الخريف والشتاء والربيع الطويلة . وفي ظروف كهذه للاستثمار ، لا يمكن ان يعتبر اي مشروع واسع النطاق ، مشروعا رابحا.. ومن هنا كان بطء نمو التجهيز السياحي في الجبل، ومن هنا كذلك كانت ضرورة تنفيذ برنامج الاشغال ، بما سيتيح تمديد الفترة السياحية الجبلية على مدى شهور السنة .

ولهذا البرنامج ، الذي وضع خطوطه الكبرى المجلس الوطني للسياحة طابعان :

– استثمار جميع الامكانيات المتوفرة في الجبل اللبناني : التزلج على الجليد ، المياه المعدنية ، المراكز العالية ، مراكز الاستجمام ، احواض الاستحمام (بيسين) مباريات ، واستعراضات متنوعة الخ ... كل ذلك من اجل التمديد الطبيعي في الجبل للفترة السياحية الساحلية ، خلال اشهر البرد .

– تجهيز ، واستثمار مواقع الجبل ، والساحل ، خارج بيروت : بيت الدين ، طرابلس ، صيدا ، الخ ...

امكانيات الجبل :

في نطاق القسم الاول من البرنامج الموضوع تشجع المؤسسات الفندقية الكبرى في الساحل ، على انشاء فروع لها في الجبل . وتشجع كذلك مؤسسات الجبل الفندقية على اقامة احواض للسباحة ، وملاعب للتنس الخ ...

ومن ناحية اخرى ، تدرس اليوم بعناية امكانية تعميم المصاعد المعلقة (تليفيريك) في مراكز الرياضة الشتوية ، وعلى الاخص في فاريا ، وتنفيذ مشروع « كورتس » في الارز .

ويجري تحقيق علمي واسع لمنطقة قناة بكيش الجميلة قرب صنين . واذا ما قرر الخبراء تجهيز هذه المنطقة سياحيا ، سوف تقام شبكة مصاعد معلقة تصل المنطقة في الوقت نفسه بفاريا ، وصنين .

وسوف تعمم مراكز الاسعاف الموجودة حاليا في جونيه ، والارز ، وفاريا ، واللقلوق (بادارة المجلس الوطني للسياحة) .

ونسرد هنا بعض الامثلة لنشير الى اتجاه الجهود التي يبذلها المجلس الوطني للسياحة ، لزيادة تنمية الصناعة الوطنية الاولى . وتجدر الاشارة الى فنادق بيروت وضواحيها تضم خمس عشرة غرفة ، ستون في المائة

من الدرجة الاولى وان فنادق الجبل تضم بمجموعها خمس عشرة غرفة كذلك ، ستون بالمائة منها من الدرجة الثانية .

●

((الاديب)) ومستقبل الثقافة في لبنان

في العام المقبل تستهل مجلة ((الاديب)) عامهـا الخامس والعشرين فتصدر عددها الثلاثماية وتسجل جهاد ربع قرن في خدمة الفكر والجمال على مستوى الرسالة .

عمل المجلات الادبية عمل جاحد ماديا بالنسبة لاصحابها ، لانها ترتكز على عنصر الثقافة وهو بعيد كل البعد عن التجارة . فالمجلات في كل دولة راقية تتلقى مساعدات من مؤسسات علمية ورسمية لكي تستطيع اداء رسالتها . ورغم كل هذا نرى ان اكثرها يعاني ضائقة شديدة محرجة . فلو اخذنا بلدا كفرنسة لرأينا ان في هذه السنة بالذات توقفت عن الصدور مجلتان من ارقى مجلات العالم هما ((لا نوفيل ريفو فرانسيز)) و ((المركيز دي فرانس)) . ويعلم الله ما كان لهاتين المجلتين من فضل على الادب الفرنسي الحديث ، وقد اقترن اسمهما بنشأة معظم الادباء البارزين اليوم .

اهمية المجلات

ان المجلة الادبية بما تنشره دوريا من نتاج جديد ومن عرض للكتب ومن نقد وتعليق وتوجيه تخلق حيوية في اجواء الادب ويطلع القارىء على الجديد في شؤون الفكر والجمال. فمجلة ((المكشوف)) في الماضي كان لها دورها الرئيسي في ازدهار الحركة الادبية في لبنان ما بين الحربين . وكذلك ((الهلال)) و ((المقتطف)) و ((الرسالة)) في مصر .

اما عندنا اليوم فمجلات ((الاديب)) و ((الاداب)) و ((الحكمة)) و ((العرفان)) و ((حوار)) و ((الورود)) منابر حرة للرأي لولاها لما كان للشأن الادبي مجاله الرحب . الا ان هذه المجلات تعاني اليوم ازمة عنيفة قد تضطر اكثرها الى التوقف كما توقفت ((المكشوف)) و ((شعر)) و ((ادب)) و ((الانطلاق)) وذلك لاسباب كثيرة منها اقبال الجيل الجديد على القراءات السخيفة ، ومنها مزاحمة المجلات غير اللبنانية من عربية واجنبية التي تساعدها الدول التي تصدر فيها فتستطيع ان تبيع باسعار زهيدة وتنشر ابحاثا لقاء بدلات مغرية ، ومنها واهمها تجاهل الدولة وجود هذه المجلات .

((الاديب)) والادب

ان صاحب مجلة ((الاديب)) اضطر أن يبيع مكتبته الثمينة لكي يتمكن من الاستمرار في اصدار الاديب كما اضطر ان يعيش ناسكا ومقترا وعلى هامش المجتمع ...

لو لم يكن للمجلات الادبية مبرر وجودها لكنا قلنا ((هم بالناقص)) ولكن لبنان في انطلاقته الحديثة يعتمد على الفكر والثقافة كبلد متقدم . ولا يجوز في اي حال ان تغيب عنه منابر الفكر والثقافة . فكم من مستشرق وبحاثة في العالم اراد ان يكتب شيئا عن لبنان الثقافي فتوجه الى سفاراتنا فلم يجد فيها وثيقة حية حديثة . فهل بكثير على لبنان الذي نريده ((موطن اشعاع)) ان يزود سفاراته بالمجلات الادبية وكذلك مكتباته المدرسية لكي يشعر ابناء الغد ان في لبنان غير المخدرات وعلب الليل ورقصة ((اليه يه)) .

لماذا لا يكون يوبيل مجلة ((الاديب)) الذي يتنادى الادباء لتنظيمه في اوائل العام المقبل مناسبة للتعويض عما فات !

بين المسؤولين نخبة يعتز بها المثقفون في لبنان فلماذا لا يقومون ببادرة ايجابية في خدمة الثقافة عن طريق تعزيز المجلات الادبية وتكريم الفكر ؟

في جميع اقطار العالم المتحضر ميزانيات ضخمة للثقافة فماذا رصد لها لبنان ؟

الا يوازي مستقبل لبنان الثقافي ، اي الحضاري ، ما يقابل شق طريق او تنظيم حفلة ترفيهية كبرى !

عار على لبنان ان يطلع عليه صباح يوم تكون فيه مجلاته الثقافية قد اصبحت مجرد اسماء للذكرى والتاريخ .

جميل جبر — ((الجريدة))

●

١ ـ الاديبان

نشر الاستاذ رياض حنين المدير المسؤول لصحيفة ((الجريدة)) البيروتية في عدد ((الجريدة)) تاريخ ٥ ـ ٩ ـ ١٩٦٥ الكلمة الطيبة التالية . و ((الاديب)) تشكر الاستاذ حنين اعمق الشكر على تلطفه وحسن ظنه وجميل عنايته :

ليس من عطر يتضوع بالطيبات ، كالجهد الصامت .

والعطر هنا ، تكوكبه مجلة ((الاديب)) .

والجهد الصامت ، يجسده منشئها الاستاذ البير اديب .

وكلاهما جزءان ، لا ينفصل احدهما عن الاخر ، بل يتممان بعضهما بعضا . وهذا ما جعل البناية الادبية التي لنا منهما ، في استواء ، تشرف الفكر ، وبالتالي تشمخ به ، ونشمخ نحن بها .

فمنذ ربع قرن ، ومجلة ((الاديب)) ، تحمل على منكبيها ، رسالة الحرف ، باستمرار لا توقف فيه ، موصول بزخم العطاء وبهائه .. تتبلغها من جيد اليراعات لتبلغها الى القراء ، المشرورين هنا ، وما وراء الحدود.

وانها لرسالة ، خلقت حوارا بين محرريها من جهة ، واقامت علائق بينهم وبين متتبعي نشاطاتها من جهة اخرى ، فكانت الفوائد تجنى جمة، من حيث التفتح الذهني على مرامي الجمال ، وابعاد الخير ، ومنبسطات المحبة ، واطلالة الجديد .

ومنذ ربع قرن ، والبير اديب يلتزم مسؤولية مجلته بجرأة وهمة

فذتين ، يعطيها من اعصابه ومن وقته كله ، يدور في فلكها ، ويدير دفتها وحده ، كما ولا احد قبله ، عني بمجلة ، وعانى منها .

فبالرغم من الصعوبات المادية ، نرى البير اديب ، يسير في الطريق الذي اختط مجاهدا مجالدا ، ومضحيا قانعا بـ « خبزنا كفاف يومنا ». ولو انه انصرف عن « الاديب » والادب ، الى عمل اخر ، الى السياسة مثلا ، او الى التجارة ، لكان بلا ريب مرتاح « الجيب » . ولكنه آثر هوى نفسه ، فكان اشبه بالشمعة ، التي تحترق ، لتضيء سواها .

ومجلة « الاديب » ، التي استطاعت ان تتابع صدورها ، منذ ان كانت، دون ان تحتجب شهرا واحدا ، حتى في اثناء الحرب الثانية ، وانتحافظ على طابعها الكلاسيكي الناصع ، بحيث تشكل بمجموعها كلا متكاملا متجانسا ، من العدد الاول الى العدد الثلاثمائة .. هذه المجلة ، قد مثلت دورا كبيرا ، في النهضة الادبية الحديثة ، ولا سيما بعد ان زالت مجلة « المكشوف » عن المسرح .

ولعل ما يميز مجلة « الاديب » ، هذا الانفتاح الحر ، على جميع نوافذ الفكر ، العربي والانساني ، في لبنان ، وخارج لبنان .. وهي لا تقيد صاحب الدراسة باي شرط ، اللهم الا المستوى الادبي .

واليوم ، اذ نكتب هذه الخاطرة العابرة ، فمن وحي ما تناهى الينا ، من ان بعض الادباء ، يفكرون في الاحتفال قريبا ، بذكرى مرور ٢٥ سنة، على ظهور « الاديب » .

وهذا اقل ما يكافأ به البير اديب ، ففيه بعض الوفاء له .

٢ ـ الشاعر البنفسجة

وتلطف ايضا الاستاذ رياض حنين بنشر الكلمة التالية في عدد « الجريدة » تاريخ ١٢ ـ ٩ ـ ١٩٦٥ ونحن نكرر اعمق الشكر له ولسائر الاخوان الكرام .

اثارت الكلمة ، التي ارسلتها ، في هذه الزاوية من ملحق «الجريدة» السابق ، حول مجلة « الاديب » وصاحبها الاستاذ البير اديب ، عاطفة الوفاء ، عند المجاهد العربي والكاتب القدير الاستاذ محمد علي الطاهر ، فتلطف بتوجيه هذه الرسالة ، استميحه عذرا في نشرها ، علها تستثير سواه ، فيبادر للاسهام في تكريم الادب ، بشخص البير اديب ، لمناسبة مرور ربع قرن ، على صدور مجلته ، باستمرار لا انقطاع فيه .

جاء في الرسالة :

« الاخ الاستاذ رياض حنين حفظه الله .

لقد اصبت واحسنت فيما سطرته بملحق « الجريدة » عن الاستاذ الكبير البير اديب ومجلته من التقريظ الصحيح ، والتقدير الذي حل في محله .

واما اقامة حفلة تكريم للاديبين ـ المجلة والانسان ـ فاني انضم اليك في العمل على تكريمهما ، بمناسبة مضي ربع قرن على صدور تلك المجلة الفذة النزيهة .

وابعث اليك مع هذه التحية بخمسين ليرة لبنانية مفتتحا بهذا الاشتراك المعنوي مشروع حفلة التكريم التي هي اقل ما يستحقه الاستاذ البير اديب من تقدير لعلمه وفضله ، وعرفانا بجميله على الاداب العربية وعلومها وفنونها ، برغم انكاره للادعاءات او الادلال ، ومما يصاحب ذلك من بعض الناس ، ولذلك اصبح من واجب المنصفين المبادرة اليه بالتحية لانه من اهل الفضل الذي يضوع ، وثوابه عند الله لا يضيع .

والسلام عليكم من مقدركم المخلص .

محمد علي الطاهر

فشكرا للاستاذ الجليل محمد علي الطاهر ، الذي كان اول من افتتح حملة الاكتتاب ، لتكريم الادب عبر « الاديب » .

وشكرا للصديق والرفيق في التحرير جميل جبر ، الذي يعود اليه الفضل في فكرة التكريم هذه ، ثم شكرا له على اسهامه ، هو ايضا بخمسين ليرة .

واني بكل تواضع ، انضم الى الاستاذ الطاهر والدكتور جبر ، فاسهم انا بدوري بخمسين ليرة .

اذ لكل حفلة تكريم وجهان : المعنوي والمادي ، ولا تستقيم الا بالاثنين معا . لان خطب المدح ، والمقالات ، والاحاديث الاذاعية والتلفزيونية ، لا تكفي وحدها .. فلنجاح الحفلة مصاريف تتطلبها .

وعندما يكون التكريم لمجلة كـ « الاديب » ، ونعرف اي دور لعبت واي رسالة ادت ، واي طريق مهدت ، طوال خمس وعشرين سنة للادب ، واي خدمة قدمت للاديب اللبناني والعربي على السواء ، فان للدولة وللافراد ، على ما اظن ، واجبات حيالها ، لا يمكن تجاهلها او التغاضي عنها ، والا اتهمنا بالعقوق ، وكنا جاحدين للفضل .

ثم ان حفلة التكريم ، ان لم تكن على مستوى المكرم ، فلا مبرر لها .

من هنا ، يوالي بعض الادباء ، اجتماعاتهم ، يحدوهم حافز عرفان الجميل ، نحو رجل كان عطاؤه كله جميلا ، حتى تنبثق عنهم لجنة تأخذ على عاتقها امر تنظيم الحفلة ، وتحديد موعدها ، لتأتي بمثابة مهرجان ادبي كبير ، لا يقتصر على لبنان فقط ، بل تشترك فيه الاقطار العربية باعتبار ان لمجلة « الاديب » ايادي بيضاء على الادب العربي . ناهيك بان الاقلام العربية هنا وهناك ، قد وجدت فيها متنفسا لها ، وفي صفحاتها ميدانا رحيبا ، تتبارى فيه نثرا وشعرا .

وان الاستعدادات لهذه الحفلة ـ المهرجان ، تجري بعيدة عن البير اديب الشاعر البنفسجة ، حرصا على تواضعه ، الذي يأبى الظهور تحت الاضواء ، وهو الذي يواظب من وراء مكتبه ، على العمل بصمت خلاق لمجد الادب ، راضيا مرضيا .

« الجريدة » — رياض حنين

اسهاما بتكريم البير اديب

نشر الاستاذ نسيب نمر صاحب ورئيس تحرير جريدة « الى الامام » البيروتية في جريدته الكلمة التالية . و « الاديب » تشكره شكرا جزيلا :

ارسل الكتاب التالي الى الاستاذ رياض حنين الذي اقترح في الزميلة « الجريدة » تكريم الاستاذ البير اديب صاحب الزميلة « الاديب » :

صدقني لقد هزتني كلمتك حول « الاديب » وصاحبها اديب ، كما هزت ، على ما اظن ، كل صاحب قلم في هذه الاغنية التي اسمها لبنان.

خمس وعشرون سنة مرت على صدور « الاديب » تتلمذ عليها الكثيرون وقد نكون ، انت وانا ، من هؤلاء الكثيرين . افلا يستحق هذا الجهاد الادبي طيلة ربع قرن من الزمان ، ان نكرم المجلة التي جاهدت ، وصاحبها اديب الذي كان المجاهد الصابر في حقل الفكر والادب ؟

نؤيدك في دعوتك الخيرة ، اقامة حفلة تكريم « للاديب » واديب ، ونضع طاقتنا المتواضعة مسهمين في هذا المشروع الذي هو تكريم للادب قبل ان يكون « للاديب » .

فليسمح لي الاستاذ رياض حنين ان انضم اليه ، والى الاستاذ محمد علي الطاهر والدكتور جميل جبر ، في الاسهام بمبلغ هو اقل مما اسهموا به (خمس عشرة ليرة من عصارة القلم) مشتركا معنويا في حفلة تكريم الاستاذ البير اديب ، وهو من يستحق اكثر من ذلك فالتكريم انما هو في قلوبنا « للاديب » وله . مع التحية .

« الى الامام » — نسيب نمر



السعادة ثروة وجمال

يؤمنها لكم

اليانصيب الوطني اللبناني

ترقبوا موعدكم مع الحظ في أربعة أسحب لكل شهر